

٢٩

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)

روايات
مصرية
للجيب



اختطاف الجنرال

RASHID

WWW.DVD4ARAB.COM

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
الطبع والنشر والتوزيع
الرياض - جدة - القاهرة - دمشق - بيروت - الكويت - دبي - عمان - صنعاء

١ - اختطاف الجنرال ..

انهمك الجنرال (أسكار) في ترتيب مجموعة من الأوراق الهامة ، داخل حقيبته الجلدية الفاخرة ، وهو يجلس خلف مكتبه الأنيق ، في فيلا صغيرة منعزلة ، تحيط بها حديقة غناء تزخر بالأشجار والزهور ، وتذكر في ارتياح أنه سيفادر مصر في الغد ، في طريقه إلى (باريس) ، للالتقاء بأعضاء التنظيم الجديد الذي سيحوز رياسته ، والمسمى بـ (منظمة النضال الحر) ..

وعادت به الذكرى إلى البداية ، وتذكر كيف شارك الجنرال (كاميرو) ذلك الانقلاب الأخير ، الذي أطاح بحكم الرئيس الدكتاتور السابق (جونار) ، وكيف كانت تدور أحلامهم - آنذاك - حول تحقيق الحرية ، والديموقراطية ، والإصلاح الاقتصادي ، وكيف كانت آمالهم عريضة في إنقاذ شعبهم (لوتشيا) من تلك الحياة البائسة ، التي يعانون شظفها في وطنهم (*) ..

(*) أسماء الشخصيات والدول من خيال المؤلف ، ولا صلة لها بالواقع .

وتبخرت كل تلك الأحلام والآمال عندما اعتلى (كاميرو)
مقعد السلطة ، وتحول الثائر السابق إلى طاغية ، أشد بطشاً
وإرهاباً وفساداً من سابقه ، وأخذ بعد توليه السلطة يسعى
للتخلص من أعوانه وزملائه ، الذين شاركوه ثورته وانهضوا ،
واحدًا بعد الآخر ، ودبر لهم الدسائس والمؤامرات ليُزجَّ بهم في
السجون والمعتقلات ، خاصة أولئك الذين عارضوه ، وانتقدوا
أسلوب حكمه وإنكاره لوعوده السابقة ، التي غامروا بانقلابهم
من أجلها ..

وكان هو (أسكار) على قمة هؤلاء ، وتعرض لبطش
وإرهاب (كاميرو) ، الذي كان يلقيه في الماضي برفيق النضال
والكفاح ، والصديق المخلص الوفي ..

وتذكر كيف نجح في الفرار بأعجوبة من مؤامرة محكمة ،
دبرتها له مخابرات (كاميرو) ، للزج به في معتقل (جدوان)
الرهيب ، وكيف نجح في الوصول إلى مصر ، طالباً منحه حق
اللجوء السياسي ، وكيف منحته هذه الدولة الكريمة رعايتها
وحمايتها ..

وعلى الرغم من أنه من المحظور عليه ممارسة أى نشاط
سياسي داخل مصر ، كما تنص على ذلك القوانين المصرية ،

إلا أنه نجح ، عن طريق أحد أعوانه المقيمين في (باريس) ، في
تشكيل جبهة معارضة وطنية ضد نظام حكم الجنرال
(كاميرو) ، وقامت هذه الجبهة بممارسة نشاطها سرّاً
وعلانية ، لإسقاط هذا النظام الدكتاتوري ، الذي يرأسه
(كاميرو) في (لوتشيا) ..

وأخيراً ، وبعد طول انتظار ، تقرر أن يلتقى أعضاء التنظيم
المعارض بزعيمهم للمرة الأولى ، في مكان ما بقلب
(باريس) ..

وانتاب الجنرال (أسكار) مزيج من المشاعر المتناقضة
المختلفة ، إزاء هذه الرحلة ، وذلك اللقاء المرتقب ، فلقد خامره
إحساس بالقلق والتوتر ، وشعور خفي بالسعادة والغبطة ،
فها هو ذا سيلتقى أخيراً بمواطنيه الأحرار ، الذين اختاروا النضال
والعمل الوطني طريقاً لهم ، وسينفض عن نفسه ذلك الشعور
الكئيب بالملل والسلبية ، لاضطرابه إلى العزلة والراحة المفروضة
عليه في مصر ، بينما يخاطر أفراد التنظيم الذي يعمل تحت إمرته
بحياتهم ؛ لمحاربة ذلك النظام الفاسد ..

ولقد كان يعلم في الوقت ذاته أن مخابرات (كاميرو) تجتهد في
أثره ، وأنهم يجاهدون من أجل اختطافه أو قتله ، منذ فراره إلى

مصر ، ولقد تلقى هو عشرات التحذيرات في هذا الشأن ، من المباحث واطخبارات المصرية ، وكان بعضها سبباً في تأجيل سفره إلى (باريس) عدة مرات ، ولكنه عقد العزم هذه المرة على السفر ، مهما كانت المخاطر والعقبات ، خاصة أنه يشق في ترتيبات الأمن ، التي اتخذتها الأجهزة المصرية لحمايته ، في أثناء توجهه إلى مطار القاهرة ، وكذا تلك الترتيبات التي أعدها رجاله عند استقباله في مطار (أورلي) في (باريس) .

وابتسم في ارتياح وهو يتذكر كل ذلك ، دون أن يخطر بباله لحظة أن خطة اختطافه قد بدأت ، وأن خصومه على بعد أمتار قليلة من مجلسه ..

توقفت سيارة زرقاء فاخرة أمام الفيلا التي يقيم فيها (أسكار) ، وغادرها شخص طويل القامة ، تلوح الصرامة في ملامحه ، وفي زي رجال الشرطة الذي يرتديه ، وأشار الرجل إلى أحد رجال الأمن من خلف البوابة الحديدية ، فهُرِعَ إليه رجل الأمن ، وعيناه تعلقان بالرتب المعلقة على كتفي الزائر ، الذي قال له في لهجة من اعتاد إصدار الأوامر :

— أنا العميد (صلاح محرم) ، من إدارة أمن المطار ، وأريد مقابلة الجنرال (أسكار) في مهمة عاجلة .

ارتبك رجل الأمن ، وهو يغمغم في تعلثم :
— معذرة ياسيدى ، ولكننى لم أتلّق أية أوامر في هذا الشأن .

عقد الزائر حاجبيه في صرامة ، وهو يقول في لهجة محتدة :
— أوامر ؟!.. لقد أوضحت لك من أنا ، وعليك تنفيذ أوامرى دون مناقشة .

ازداد ارتباك رجل الأمن ، وتضاعفت حيرته وهو يحاول التوفيق بين الأوامر التي تلقاها مسبقاً ، وتهدة ثائرة الزائر ، الذى يفوق رئيسه المباشر رتبة ، ثم زفر في استسلام ، وهو يفتح البوابة مغمغماً :

— إننى أنفذ الأوامر ياسيدى ، وهى تقضى بعدم السماح لأى مخلوق بمقابلة الجنرال (أسكار) دون إذن مسبق ، وأنا أستمعك عذراً فى أن تنتظر هنا لحظات ، حتى يتم الاتصال برئيسى هاتفياً و....

لم يتم رجل الأمن حديثه ، فقد اتسعت عيناه في دهشة ، وتراجع في جدّة ، حينما رفع العميد الزائف في وجهه فجأة مسدساً مزوّداً بكاتم للصوت ، وهو يقول فى سخرية :
— آسف ، فأنا لا أتميّز بالصبر .

حاول رجل الأمن أن يلتقط مسدسه ، أو يتعد عن طريق
الفوهة القاتلة ، إلا أن رصاصة العميد الزائف كانت أكثر
سرعة ، واستقرت في صوت مكتوم في رأس رجل الأمن ، الذي
جحظت عيناه ، وسقط جثة هامدة .

وبإشارة من يد العميد الزائف ، قفز من السيارة أربعة
أشخاص ، يتشع كل منهم بثياب سوداء قائمة ، واندفعوا داخل
القيلا ، وكل منهم يحمل مسدسا ..
لقد بدأت عملية الاختطاف ..

تحرك الرجال الأربعة في خفة وسرعة ومهارة ، وكان من
الواضح أنهم يسرون وفقا لخطة محكمة مدروسة ، فقد كان كل
منهم يعرف دوره جيذا ، دون الحاجة إلى تبادل كلمة
واحدة ، فقد أسرع أحدهم نحو الكاميرات التليفزيونية المخفاة
بين الأشجار ، وأتلفها بعدد من رصاصاته المكتومة ، في حين
أصاب الثاى خطوط الاتصالات الهاتفية ، وأفسد الثالث
الكابلات الرئيسية للتيار الكهربى ، فساد الظلام التام
المكان ..

أما الرجل الرابع والعميد الزائف فقد اتجها في خفة وسرعة

إلى القيلا ، وألقيا بعض الخطافات المعدنية نحو نوافذها ، ثم
أسرعا يتسلقان تلك الحبال المطاطية القوية ، التى تتدلى من
أطراف الخطافات .

وأسرع رجال الأمن إلى حديقة القيلا ، وهم يحملون
أسلحتهم ومصاييحهم اليدوية ، بعد أن أنبأهم ما شاهدوه من
خلال الكاميرات التليفزيونية قبل إتلافها بمعنى ما يحدث ،
ولكن هؤلاء المقتحمين استغلوا الظلام الدامس ، وأصابوا بعض
رجال الأمن برصاصاتهم المكتومة ..

وتنبه الجنرال (أسكار) لما يدور في حديقة القيلا ، فقفز
إلى مكتبه ، والتقط من أحد أدراجة مسدسا قويا ، وأسرع إلى
النافذة وقد قرر الدفاع عن نفسه حتى الرمح الأخير ..

وفجأة اقتحم العميد الزائف النافذة ، وانقض على
الجنرال ، والتحما في قتال عنيف ، وتمكن الجنرال
(أسكار) ، على الرغم من فارق السن بينه وبين مهاجمه ، من
دفع خصمه بعيدا ، ثم التقط مسدسه الذى سقط مع بدء
الهجوم ، وصاح وهو يصوبه إلى خصمه :

— ليس من السهل التغلب على رجل مثلى أيها الوغد .

نهض العميد الزائف في هدوء ، وهو يقول في برود :

— دعك من الحماسة يا جنرال (أسكار) ، فنحن لا نبتغي
إيذاءك .

عقد الجنرال حاجبيه في غضب ، وأراد أن ينطق بكلمة ما ،
إلا أن الرجل الرابع انقضّ عليه فجأة من الخلف ، وأحاط أنفه
وفمه بمنديل تفوح منه رائحة مخدّر قوى ، وحاول الجنرال أن
يقاوم وأن يوقف أنفاسه ، حتى لا يتسلّل المخدّر عبر أنفه إلى
عقله ، إلا أنه لم يلبث أن شعر بدوار يكتفه ، وتراخى جسده ،
وسقط بين يدي أعدائه ..
وتّم الاختطاف ..



٢ — التحدى ..

انطلقت صرخة مدوية في ردهة التدريبات الخاصة بالمكتب
رقم (١٩) ، وانقضّ صاحبها على (ممدوح) مسدداً له ضربة
قوية بقبضته ، ولكن (ممدوح) تفادى الضربة في براعة ،
وتلقاها على ساعده ، واستعان بكل ما اكتسبه من مرونة
ورشاقة وحنكة ، ليتفادى عدداً من الضربات المتتالية ، التي
توجّهت نحوه في سرعة خاطفة ، ثم أمسك بقبضة خصمه في
مبادرة رائعة ، ودفعه إلى الخلف ، في نفس اللحظة التي اعترض
فيها ساق خصمه بساقه ، ففقد خصمه توازنه ، وسقط أرضاً ،
وهنا انحنى (ممدوح) في حركة مباغتة ، وتفادى ضربتين قويتين
من مهاجمين انقضوا على ظهره ، وقفز ملتقطاً عصا خشبية من
جراب معلق على الحائط ، ليتلقى عليها ضربات عصي
المهاجمين ، ثم يكرّ عليهما في بأس ومهارة ..
وهنا انطلق صوت في طرف القاعة يقول :

— رائع .. رد الفعل لديك ممتاز .

توقّف القتال ، وألقى الجميع عصيهم وهم يتبادلون ابتسامة
مرحة ودوداً ، وعاون (ممدوح) خصمه الذي سقط أرضاً على

النهوض ، ثم اقترب من مدرّبه ، الذى رثت على كتفه ، فى إعجاب ، وهو يقول :

— إنك تمتلك أعصاباً قوية ، وغريزة رائعة ، فلقد واجهت كل الهجمات بما يتناسب من ردود أفعال ، على الرغم من كونها مفاجئة متعاقبة ، وهكذا ينبغي أن يكون رجل العمليات الخاصة .

ممدوح :

— إن لعلى يسيل لمزيد من هذه التدريبات ، فهل يبدأ الاختبار الثانى ؟

المدرّب :

— لا .. إنك لن تستكمل تدريباتك اليوم ، فسيادة اللواء يريدك فى مكتبه على الفور .

وابتسم فى حنان أبوى ، وهو يستطرد :

— يبدو أنها مهمة خاصة جديدة ..

طرق (ممدوح) باب مكتب اللواء (مراد) ، ثم دلف إلى الداخل فى هدوء ، وتعلّق بصره باللواء (مراد) ، الذى جلس خلف مكتبه ، يقلّب بين يديه مجموعة من الصور ، وهو

واضح التجهم والعبوس ، وقبل أن يبادره (ممدوح) بالتحية ، أشار إليه أن يجلس فى مواجهته ، وظلّ على صمته الذى دام مدة دقائق ، دون أن يحاول (ممدوح) مقاطعته ، حتى خرج اللواء (مراد) أخيراً عن صمته ، ودفع الصور نحو (ممدوح) قائلاً :

— افحص هذه الصور ، وقل لى ماذا تعنيه بالنسبة إليك ؟

التقط (ممدوح) الصور ، وأخذ يفحصها فى هدوء .. كانت واحدة من الصور لرجل بدين قصير الشعر ، له عينان ضيقتان ، وحاجبان كثيفان ، وملاحه توحى لمن يراها بالشراسة والكراهية والعنف ، أما باقى الصور فقد بدت وكأنها لمبنى واحد ، من زوايا ومسافات مختلفة ..

وأعاد (ممدوح) الصور إلى اللواء (مراد) ، قائلاً :

— لست أدرى أى شىء عما تحويه هذه الصور يا سيّدى .
التقط اللواء (مراد) صورة الرجل البدين ، وقال وهو يضعها أمام عينى (ممدوح) :

— هذه الصورة لرجل يُدعى (ماركو) ، يلقّب فى بلاده بـ (ماركو الرهيب) ؛ فهو مدير جهاز المخابرات المعروف باسم (الدرع الحديدى) ، التابع للجنرال (كاميرو) .

ممدوح :

— رئيس جمهورية (لوتشيا) ؟

اللواء (مراد) :

— نعم .. أما باقى الصور فهى لبنى واحد ، وهو معتقل

(جدوان) .

ممدوح :

— لقد سمعت الكثير عن هذا المعتقل ، فهناك العديد من الروايات عن الفظائع التى ترتكب داخله ، وعن آلات التعذيب الشيطانية التى يمتلئ بها ، والتى يتلظى بها من يرسل به سوء حظه إليه .

اللواء (مراد) :

— من المؤسف أن كل ما سمعته لا يبلغ تلك المعلومات المتوافرة لدينا ، عن هذا المعتقل الرهيب يا (ممدوح) ، فوسائل التعذيب المستخدمة هناك تفوق أبشع ما يمكن تخيله ، كما أنه يشبه قلعة حربية ، أو حصنًا منيعًا يستحيل اختراقه .

ممدوح :

— هل هناك علاقة بين ذلك ، واختطاف الجنرال

(أسكار) ، زعيم جبهة المعارضة فى (لوتشيا) ؟

اللواء (مراد) :

— بالطبع .. أنت تعلم أن (أسكار) كان لاجئًا سياسيًا

فى مصر ، والمفروض أن الدولة التى تمنح حق اللجوء السياسى لديها من القدرة والقوة ما يكفى لحماية من تمنحه هذا الحق ، ونحن فى مصر لنا سمعة طيبة للغاية فى هذا المجال ، ولكن مخبرات (ماركو) أصابتنا فى الصميم ، حينما نجحت فى اختطاف زعيم المعارضة فى (لوتشيا) من قلب مصر ، على الرغم من كل إجراءات الأمن التى اتخذناها لحمايته ، وهكذا أصبح الأمر يتعلق بهيبة الدولة وكرامتها ، وقدرتها على بسط حمايتها على من يلجئون إليها ، وعلينا أن نواجه هذا التحدى السافر ، الذى ربح جولته الأولى جهاز مخبرات (ماركو) ، كما أن علينا أن نثار لرجال الأمن المصريين ، الذين فقدوا أرواحهم وهم يؤدون واجبهم لحماية الجنرال (أسكار) ، والوسيلة الوحيدة التى يمكننا بها مواجهة هذا التحدى ، واستعادة كرامة وسمعة أجهزة الأمن المصرية ، هى أن نعيد الجنرال (أسكار) ، إلى مصر ، أو نخلصه من بين أيديهم على الأقل ، حتى نؤكد أننا لا نتخلى أبدًا عمَّن تمنحهم حق الرعاية والحماية .

ممدوح :

— ولكن هل نحن واثقون أنه مازال على قيد الحياة ، وأن الجنرال (كاميرو) لم يتخلص منه بعد .
اللواء (مراد) :

— نعم .. إن لدينا مصادر للمعلومات في قلب (لوتشيا) ، وكلها تؤكد أن الجنرال (أسكار) لا يزال حيًا ، ولكنه معتقل داخل حصن (جدوان) ، ولا ريب أنه يتعرض الآن لعمليات التعذيب الوحشية ؛ لإجباره على الاعتراف بأسماء أعضاء تنظيم (النضال الحر) السري ، المعارض لحكم (كاميرو) ، ورجال المقاومة التابعين للتنظيم ، والمتشربين داخل (لوتشيا) .
ممدوح :

— ولكنك قلت منذ لحظات ياسيدي : إن معتقل (جدوان) قلعة حصينة يستحيل اختراقها .
اللواء (مراد) :

— وهنا يكمن التحدي الحقيقي يا (ممدوح) ، فإخراج الجنرال (أسكار) من ذلك المعتقل الجهنمي ، وإعادةه إلى مصر هو أبلغ رد على تلك العملية التي أخرجتنا سياسيًا وأمنيًا ، فضلاً عن كونه عملاً إنسانيًا ؛ لأن الجنرال (أسكار) رجل مريض ، ولن يحتمل وسائل التعذيب طويلاً ، وهذا العمل الانتحاري يحتاج إلى رجل مثلك .. إنني أعلم مدى خطورة

العملية ، وليست لدى في الواقع خطة محددة لاقتحام (جدوان) ، ولكنني واثق من أنك ستجد الوسيلة المناسبة ، فهي ليست المرة الأولى التي تكلف فيها مهمة خارقة للمألوف ، وتنجح فيها في امتياز ، محطماً كل التوقعات .
ابتسم (ممدوح) محاولاً التخفيف من قلق رئيسه وتوتره ، وهو يقول :

— مرحباً بالمستحيل .. إنني أنتظر إشارة البدء ياسيدي .
تأملت نظرة إعجاب في عيني اللواء (مراد) ، وهو يتطلع إلى ذلك الشاب الذي يواجه أخطر وأصعب المهمات بابتسامة واثقة ، وقال :

— سنبداً من الغد في إعداد الترتيبات اللازمة لذهابك إلى (لوتشيا) يا (ممدوح) ، وسيكون في انتظارك هناك بعض رجال المقاومة التابعين لمنظمة (النضال الحر) ، لتقديم كل التسهيلات الممكنة في مهمتك .
ممدوح :

— يمكنك أن تطمئن ياسيدي .. سأعود — بإذن الله — مصطحباً الجنرال (أسكار) ، برغم أنف (كاميرو) و (ماركو) ، ومخابراتهما .. وبرغم أنف معتقل (جدوان) الرهيب .. سأعود .

٣ - الهروب المفاجئ ..

وصلت الطائرة التابعة لشركة الخطوط السويسرية (سويس إير) إلى مطار (هوران) عاصمة (لوتشيا) ، في الساعة السابعة مساءً ، وتوجه ركابها إلى (صالة) الجوازات لإنهاء إجراءات الدخول ، وتوجه من بينهم راكب ذو شارب كث ، وشعر أشعث إلى ضابط الجوازات ، وقدم إليه جواز سفر تركي في ثقة ، وانتظر انتهاء الإجراءات في هدوء ، إلا أنه شعر بيد قوية تربت على كتفه ، وسمع صوتًا خشنًا جافًا يقول في صرامة :

— لا داعي لتأشيرة دخول .. سنسمح لك بدخول (لوتشيا) بدونها .

استدار الشاب في هدوء يواجه محدّته ، وفتح فمه ليرفض دعوته ، إلا أنه عاد يطبق شفثيه حيناً رأى أمامه وجهين صارمين ، لرجلين ضخمي الجثة ، وشعر بفوهة مسدّس باردة تلتصق بجانبه ، في حين أشاح ضابط الجوازات بوجهه ، وكأنما يعلن عدم استطاعته أو استعدادده للتدخل ..

ودفع الرجلان المسافر التركي في خشونة إلى خارج المطار ، دون أن يعترضهما أحد ، ودفعاه داخل سيارة سوداء كبيرة ، وحشراه بينهما في المقعد الخلفي ، وقد تجمّدت ملاحظتهما ، وبدوا كتمثالين من حجر أصم ، في حين انطلق قائد السيارة بها في صمت ، وأخذ ينهب الأرض في سرعة ، غير عابئ بما يعترضه من إشارات المرور ، حتى توقفت السيارة أمام مبنى صغير محاط بالأشجار ، وقد أسدلت على نوافذه ستائر سميكّة تحجب الضوء عن داخله تمامًا ، وهبط الجميع من السيارة ، وقادوا المسافر التركي عبر باب صغير إلى ممر قصير ، انتهى بهم إلى حجرة بلا نوافذ ، يضيئها ضوء ساطع مبهر ، يجلس داخلها شخص قصير ، تبرز عروقي وجهه النافرة على نحو عجيب ، وهو يجلس خلف مكتب كبير يتوسّط الحجرة ، ولم يكد المسافر التركي يقف أمامه ، حتى ضاقت عيناه وهو يتفرّس في ملامحه في إمعان ، قبل أن يغمغم في صرامة :

— جواز سفرك .

ناوله التركي جواز سفره في هدوء ، فقلّبه الرجل بين يديه ، وطالعه في اهتمام ، قبل أن ترسم على شفثيه ابتسامة خبيثة ، وهو يقرأ البيانات المدوّنة في جواز السفر في صوت بارد :

— (نصرت يلمظ) .. الجنسية (تركي) .

ثم رفع عينيه إلى المسافر التركي بغتة ، وحده بنظرة حادة ، وهو يستطرد بنفس البرود الصارم :

— أهنتك ، فجواز سفرك مزور في إتيان ، ولولا تلك المعلومات التي وصلتنا عنك مسبقاً لحصلت على تأشيرة الدخول في يسر وسهولة .

قال المسافر التركي في هدوء :

— لست أفهم .. ماذا تقصد يا سيدي ؟

نهض الرجل من خلف مكتبه ، وبدت قامته أكثر قصرًا وهو يدور حول (ممدوح) ، قائلاً في تهكم :

— أما زلت مصرًا على اصطناع البرود وعدم الفهم ؟

وبإيماءة صغيرة من رأسه ، تقدّم أحد الرجلين من المسافرين التركي ، وأخرج من جيبه علبة صغيرة ، رشّ منها سائلًا لزجًا على جانبي وجه المسافر ، وأسفل أذنيه وذقنه ، وهنا أخذ جلد وجه المسافر التركي ينكمش في سرعة ، لتظهر من أسفله ملامحه الأصلية ، وتقدّم منه الرجل القصير ، وانتزع في قسوة شاربه الكث ، وبقايا القناع المطاطي المنكمش ، ثم تراجع قليلًا إلى الخلف ، وبدأ شديد الثقة والزهو ، وهو يقول :

— الآن يمكننا أن نتحدث قليلًا أيها المقدم (ممدوح عبد الوهاب) .. أليس هذا هو اسمك الحقيقي ؟ ..

ظلّ (ممدوح) صامتًا ، جامد الملامح ، وهو ينظر إلى الرجل القصير ، الذي عاد يتسم في غرور ، وهو يستطرد في برود :

— لا أعتقد أنك من الغباء بحيث تنكر حقيقتك الآن ، فنحن لا نعلم اسمك ومهنتك فحسب ، ولكننا نعلم أيضًا أنك تتبع (إدارة العمليات الخاصة) في مصر ، أو (المكتب رقم (١٩)) كما تطلقون عليه ، أيكيفيك هذا أم تريد أن أخبرك برقم ملفك السري ؟

ابتسم (ممدوح) قائلاً :

— أهنتك على كل هذا القدر من المعلومات .

امتعض الرجل القصير على نحو واضح ، إزاء ثبات أعصاب (ممدوح) وسخريته ، فقال له في صرامة ، وهو يضغط حروف كلماته في قوة :

— لا أظنك تجهل وسائلنا الخاصة في التعامل مع الأوغاد أمثالك ، لنجعلهم أقل بهجة وثباتًا مما يبدون في البداية ،

وأؤكد لك أن الكولونيل (ماركو) سيسعد باستضافتك كثيرًا
في حصنه .

ثم التفت إلى الرجلين ، وقال في صرامة :
— انقلاه إلى الحجرة المجاورة حتى يحضر الكولونيل
(ماركو) ، ولا تدعاه يغيب عن أبصاركما .
وضع (ممدوح) إصبعه فوق أحد ضروسه ، وهو يقول في
سخرية :

— إذا كنا سننتظر كولونيلك هذا طويلاً ، فهلا أحضرت لي
طبيب أسنان ، فأنا أشعر بألم شديد في ضرسى هذا ؟
استشاط الرجل غضباً ، وأطفأ سيجارته في عصبية ، وهو
يقول في جدّة :

— لا أظنك ستحتاج إلى التعامل مع طبيب أسنان بعد أن
نفرغ منك ، اللهم إلا للحصول على طاقم أسنان صناعية .
ممدوح :

— أنت واثق من ذلك ؟

وفي حركة سريعة مباغتة ، انتزع (ممدوح) من أسفل
ضرسه أنبوبة صغيرة ، تحتوي على مادة سريعة الاشتعال ، ونزع
غطاءها بأسنانه ، ثم ألقى بها نحو منفضة السجائر ، حيث لم
تكن سيجارة القصير قد انطفأت بعد تمامًا ..



ثم ألقى بها نحو منفضة السجائر ، حيث لم
تكن سيجارة القصير قد انطفأت بعد تمامًا ..

كانت المفاجأة من نصيب الجميع ، فيما عدا (ممدوح)
بالطبع ، ففي الوقت الذي قفز فيه القصير من خلف مكتبه في
ذعر ، وقد كادت ألسنة النيران المتأججة تمسه ، وتراجع فيه
الرجلان في فزع ودهشة ، انقضَّ (ممدوح) ..

وفي حركة سريعة أمسك يد أحد الرجلين ، ودفعها إلى
الخلف بالمسدس الذي تحمله ، ولف ساقه حول ساق خصمه
الذي سقط أرضاً ، وأفلت مسدسه من يده ، وانحنى
(ممدوح) في سرعة يلتقط المسدس ، في نفس اللحظة التي
مرقت فيها رصاصة من مسدس الأخير إلى جوار أذنه ، فدار
حول نفسه في حركة رشيقة ، وصرع الرجل برصاصة صائبة ،
ثم انتصب واقفاً على قدميه ، وصوب فوهة مسدسه نحو القصير
والرجل الآخر ، الذي كان يحاول النهوض ، وقال في صرامة :

— أعطني مفتاح الحجرة .

غمغم القصير وهو يرتعد خوفاً :

— ليس هناك مفتاح للحجرة .

جذب (ممدوح) إبرة مسدسه ، وهو يقول في صرامة :

— هل تحب أن ألقطه من حطام جمجمتك .

أدرك القصير من لهجة (ممدوح) الصارمة ، أنه جاد فيما

يقول ، فغمغم في صوت خافت مضطرب :

— إنه في جيبى الأيمن .

ممدوح :

— حسناً .. التقطه بإصبعين من أصابع يدك اليسرى ،

وألْق به إلى .

نقذ القصير ما طلبه (ممدوح) في حَنَق ، والتقط

(ممدوح) المفتاح وأداره في الباب وهو يراقب الرجلين في

حذر ، ثم فتح الباب وقال :

— وداعاً .. وتذكراً مستقبلاً أن كون الحجرات بلا منافذ

يجعلها سلاحاً ذا حدين .

وقفز خارج الحجرة ، وأغلقها بالمفتاح من الخارج ، وترك

الرجلين يحاولان إخماد النيران التي تزايد انتشارها في الحجرة ، ثم

أسرع إلى الخارج ..

وكان سائق السيارة السوداء يقف خارجاً ، مرتكناً على

مقدمة سيارته ، إلا أنه لم يدهظ (ممدوح) وهو يندفع عبر الممر

القصير ، ويختفي وسط الأشجار الكثيفة ، إلا عندما أطلق

(ممدوح) صغيراً خافتاً ليسترعى انتباهه ..

واستدار السائق في دهشة ، ثم اتسعت عيناه في ذعر حينما أبصر (ممدوح) ، الذي لم يمهله طويلاً ، بل هوى على رأسه بمقبض مسدسه ، ثم قفز إلى السيارة ، وانطلق بها محاولاً الابتعاد بأقصى قدر ممكن عن المكان ، وهو يدرك جيداً أن فراره بهذه السيارة لن ينجح طويلاً ، فهي هيئة إلى الحد الذي يجعلها هدفاً سهلاً لمطارديه ؛ لذا فقد أوقف السيارة بعد ربع ساعة فقط من انطلاقه بها ، وسار على قدميه مسرعاً لمسافة طويلة ، حتى لمح موزع البريد وهو يوقف دراجته البخارية إلى جوار مبنى قريب ، ويتركها ليضع بعض الخطابات في صندوق البريد الخاص بالمبنى ..

ودون تردد ، اعتلى (ممدوح) مقعد الدراجة البخارية ، وانطلق بها مبتعداً ، ومتجاهلاً صيحات الذعر والدهشة التي انطلقت من بين شفتى موزع البريد ، و (ممدوح) يغمغم في صرامة :

— لقد فازت إدارة العمليات الخاصة بالجولة الثانية أيها الأوغاد .

٤ — الهارب الخطير ..

لم يدر (ممدوح) وهو ينطلق هارباً ، على متن الدراجة البخارية ، أن أجهزة أمن (لوتشيا) كلها قد انطلقت في أعقابه ، فلم يكد القصير ورفيقه الضخم ينجحان في إطفاء النيران ، وتحطيم باب الحجرة حتى شرع القصير بجري اتصالاته الهاتفية ، التي أطلقت ذئاب الأمن جميعاً في إثر (ممدوح) .. وبينما انهمك القصير في فحص بقايا حجرته وأوراقه المحترقة ، وهو يسب ويلعن ذلك الشيطان الذي قلب الأمور رأساً على عقب ، فوجئ بالكولونيل (ماركو) واقفاً عند باب الحجرة بجسده الضخم ، وهو يحدجه بنظرات نارية قاسية ..

وانتفض القصير وهو يحدق في ذعر في وجه رئيس جهاز مخبرات (كاميرو) ، وارتبك وتلعثم وهو يحاول البحث عن كلمة لتفسير ما حدث ، إلا أن الكولونيل (ماركو) أوقفه وهو يقول في خشونة :

— لست أحتاج إلى الشرح ، فلقد تلقيت اتصالاً لاسلكياً

يشرح ما حدث ، وأنا في طريقى إلى هنا ، فضلاً عن أن المكان ينسئ بما حدث .

ثم انفجر فجأة مستطرداً في غضب وقسوة :
— ولكنه خطئى أنا ، فلم يكن من الصواب أن أعهد لإدارة فرعية ، يرأسها غيبى مثلك ، بمثل هذه المهمة ، فأمثالك لا يعهد إليهم إلا برعاية الفراريج الصغيرة .
شحب وجه القصير ، وهو يغمغم :

— الأمر كله ...

قاطعته (ماركو) في حدة :

— لو أنك بذلت مجهوداً بسيطاً لقراءة الملف ، الذى وصل إليك عن هذا الرجل ، ما اكتفيت بإرسال رجلين فقط لإحضاره .

القصير :

— لقد أرسلت إليه (ويلانى) و (كيتان) ، وهما من أفضل رجالنا يا سيدي الكولونيل .

قال (ماركو) متهمكماً :

— حقاً؟! وماذا فعل بطلاك؟! ..

ثم انفجر في ثورة :

— إنك لا تعلم من هو المقدم (ممدوح) .. لو أنك أضعت بعضاً من وقتك الثمين لمراجعة ما ورد بملفه ، لعلمت أنه من أخطر العملاء المعدودين في العالم كله ، وأن تاريخه حافل بالمغامرات المذهلة .. إن أمثاله ينجحون فيما يخفق فيه المئات من الرجال .. لقد كان من الأجدر بك أن تستخدم كل القوة المخصصة لك لإلقاء القبض عليه ، حتى لا ينتهى الأمر بك إلى هذه الصورة الخزية ، فيفر هو ، ويشعل النيران في مكتبك ، ويسجنك مع رجلك كجرذين في مصيدة .
حاول القصير أن يبرر موقفه ، إلا أن (ماركو) أشار إلى اثنين من أعوانه ، قائلاً :

— اقبضا على هذا المستهتر ، وتحفظا عليه في أحد سجون مخبراتنا .

أخذ القصير يتوسل ويتضرع دون جدوى ، وجذبه أعوان (ماركو) في قسوة إلى الخارج ، في حين تقدم أحدهم يشعل سيجار (ماركو) ، الذى أخذ يصدر أوامره لرجاله هاتفياً ، أمراً إياهم بالبحث عن (ممدوح) ، وإلقاء القبض عليه حياً أو ميتاً ، ومراقبة الطرق ، ومحطات السكك الحديدية ، وإلقاء القبض على كل من تحوم حوله الشبهات ، وما أن انتهى من كل هذا ، حتى قال مساعده ، محاولاً تهدئة ثأثرته :

— إطمئن يا كولونيل ، لن يمكنه التوغل في بلادنا كثيرًا ،
ولن تمضي ساعات قليلة حتى يقع في أيدينا .
تهالك (ماركو) على المقعد المواجه للمكتب المحترق ،
قائلًا :

— هذا الرجل بالغ الخطورة يا (تونار) ، ويكفى أنه جاء
إلى هنا بغرض التسلّل إلى معتقل (جدوان) ، وتهريب الجنرال
(أسكار) .

ضحك (تونار) في سخرية ، قائلًا :

— التسلّل إلى (جدوان) ؟ .. إنها مهمة مستحيلة
يا سيّدى ، وأنت تعلم ذلك جيّدًا ، إن تهريب أى معتقل من
هناك يحتاج إلى فرقة حربية كاملة ، وليس إلى مجرد رجل واحد ،
وإذا تصوّر أنه سينجح وحده في هذا فهو — ولا شك —
مخبول .. لا ريب أن رؤسائه قد أرسلوه في هذه المهمة
ليتخلّصوا منه .

بدا (ماركو) غير مقتنع بما قاله مساعده ، وهو يقول :

— لست متفائلًا مثلك يا (تونار) ، فالمعلومات التى
وصلتني عن هذا الضابط المصرى تجعلنى قلقًا بالفعل ،
ولا تنس أننى المسئول عن الجنرال (أسكار) أمام الجنرال
(كاميرو) ، وهو لا يرحم من يفشل من رجاله .

حاول (تونار) أن يهوّن من الأمر مرة أخرى ، وهو يقول :
— أعتقد أنك تبالغ كثيرًا يا سيّدى ..
لم يمهله (ماركو) حتى يتم عبارته ، بل أدار قرص الهاتف ،
وتحدّث إلى قائد المعتقل قائلًا في صرامة :
— أريد منكم أن تضاعفوا الحراسة بالنسبة للسجين
(٣٠٧) .

أجابه قائد المعتقل ، قائلًا :

— إنه محاط بأشدّ أنواع الحراسة ، داخل زنزانه قويّة
يا سيّدى .

ماركو :

— أعلم ذلك ، ولكننى أريد مضاعفة الحراسة ، وستكون
مسئولًا أمامى عن هذا السجين بالذات ، وسأحضر إليك قبل
بزوغ الفجر للتأكد من تنفيذ أوامرى .

حار قائد المعسكر لهذه التعليمات المفاجئة ، إلّا أنه أجاب
في إذعان :

— كما تأمر يا سيّدى الكولونيل ، وستجد كل شىء على
ما يرام عندما تصل إلى (جدوان) .
عاد (ماركو) يقول في صرامة :

— أريدكم أيضاً أن تطلقوا النار ، وبلا إبطاء أو إنذار ، على
أى مخلوق يحوم حول المعتقل ، أو يقترب منه .

ثم أنهى المحادثة ، وهو يقول لنفسه فى خشونة :

— لن نترك فرصة واحدة لنجاح هذا الضابط المصرى .

أوقف (ممدوح) الدراجة البخارية فى منطقة مهجورة ،
وتخلّى عنها ليواصل سيره على الأقدام ، مستتراً بالظلام ، وهو
يعلم سلفاً إلى أين تقوده قدماه ، حتى وصل إلى منزل مظلم ،
يقيم عليه السكون ، فطرق بابه ثلاث مرات متتابعة ، وانتظر .

ظلّ السكون يقيم على المنزل لحظات ، دون أن يعاود
(ممدوح) طرق الباب ، أو تبدو عليه الرغبة فى ذلك ، ثم
انفتح الباب فى هدوء ، وبدأ على عتبة رجل فى أواسط العمر ،
تتجلى الصرامة فى ملامحه وهو يحدج (ممدوح) بنظرة باردة
جافة ، قبل أن يقول فى غضب :

— من أنت ؟ .. ولماذا تطرق بابنا فى مثل هذه الساعة ؟

اعتذر (ممدوح) ، قائلاً فى هدوء :

— أعتذر لحضورى فى مثل هذا الموعد ، ولكننى جئت
أستعيد الطرد الذى وصل إليكم بطريق الخطأ .

نظر إليه الرجل طويلاً فى تمعن ، ثم قال مستكملاً الحوار
الشفرى المتفق عليه :

— أرجو أن يعود الطرد إلى مكانه الصحيح .

وابتسم (ممدوح) ، وبادله الرجل الابتسامة ، ثم أفسح له
فى الطريق ، وتركه يدخل إلى المنزل ، ثم أغلق الباب خلفه فى
هدوء ، ودعاه إلى الجلوس على أحد المقاعد ، قائلاً :

— مرحباً بك .. أنا (جيلان) ، وهذا هو اسمى الحقيقى ،
أما عن الاسم الحركى فهو (الصقر) ، وأنا رئيس مجموعة من
رجال المقاومة السريّة ، التابعة لمنظمة (النضال الحر) .

ممدوح :

— وأنا (ممدوح عبد الوهاب) من المكتب رقم (١٩) ،
وأعتقد أنك تعلم بأمر المهمة التى أتيت من أجلها .

وضع (جيلان) أمامه سلة تمتلئ بالفواكه ، ودعاه لتناول
بعضها وهو يقول :

— لقد تصوّرت أن مهمتك قد انتهت ، عندما أسرّ إلى
أحد الرجال الذين وضعتهم لمراقبتك ، أن مخابرات (ماركو)
قد ألقت القبض عليك فى المطار .

ممدوح :

— لقد نجحت في الفرار ، ولكنني أصبحت في خطر مضاعف ، بعد كشف تنكري ، وبالمناسبة ، هل تحوم حولك الشبهات ؟ .

جيلان :

— لا .. فأنا أرعى جياد الجنرال (كاميرو) طيًّا ، ومن المستحيل حصولي على مثل هذا المنصب لو أن هناك أدنى شبهة تحوم حولي ، إلا إذا نجحت مخابرات (ماركو) في كشف أمرى ، ولكن دعنا من هذا الآن ، وأخبرنى : أية مساعدة يمكنني تقديمها لك ؟

ممدوح :

— أريد منك أن تعاوننى على الوصول إلى مدينة (جدوان) ، وإلى معتقلها الرهيب ، الذى يحتجزون فيه الجنرال (أسكار) .

حك (جيلان) ذقنه بأظفاره قليلاً ، ثم قال :

— إنه ليس أمراً سهلاً تحت أية معايير ، فقد فقدت أوراقك المزورة ، وأصبحت ملاحك معروفة ، ولا شك أن كل رجل آمن فى (لوتشيا) يحمل صورتك الآن ، ثم إن كل أجهزة

الأمن تنشط للبحث عنك ، وعلى رأسها جهاز مخابرات (ماركو) ، وستركز جهودهم حول (جدوان) ، مادامسوا يعلمون من أنت ، والغرض الذى جئت من أجله .
(ممدوح) :

— ما العمل إذن ؟ .. إننا سنخسر كل شيء لو أننا تباطأنا فى التحرك ، أما من وسيلة للوصول إلى هناك ؟
تراجع (جيلان) فى مقعده ، وابتسم ابتسامة واثقة ، هادئة ، وهو يقول :

— لا توجد مشكلة بلا حل يا صديقى .

(ممدوح) :

— هل تعنى .. ؟

جيلان :

— بالطبع .. إن لدى الوسيلة المناسبة للوصول إلى (جدوان) .

* * *



٥ - رحلة المخاطر ..

تطلّع (ممدوح) في اهتمام إلى البطاقة التي ناولها إياه (جيلان) ، والتي تحمل صورة لشخص قريب الشبه منه ، تقول بياناتها إنه يعمل بالمحاماه ، واستمع إلى (جيلان) وهو يقول :

— انصت إليّ جيّدًا .. سأتصل الآن هاتفياً بصديق لي ، يقيم على مقربة من هنا ، ويعمل في المسرح ، ويمتلك خبرة كبيرة في عمليات التكر ، واستخدام أدوات (المكياج) بحكم عمله ، وسيأتي إلى هنا على الفور ، ويعمل على جعلك شبيهاً بصاحب الصورة .

تردّد (ممدوح) ، قائلاً :

— هل تثق به ؟

أجابه (جيلان) :

— كل الثقة ، فهو أحد أفراد مجموعتي ، وهي ليست أول مرة يفعل فيها ذلك ، فطالما استعنا به لتهرب من يفتضح أمره منّا .

وطلب رقم صديقه ، وقال له بكلمات مقتضبة :

— إحضر إلى منزلي .. عملية جديدة .

ووضع السّماعه ، وهو يلتفت إلى (ممدوح) ، قائلاً :

— إنه لا يمتلك بالطبع تلك الوسائل المتطورة ، التي تمتلكونها في مخبراتكم ، ولكنك ستشهد بعد أن ينتهي من عمله ، أن الوسائل القديمة ما زالت فعّالة .

سأله (ممدوح) :

— وهذه البطاقات الزائفة ، أهي من ابتكاره أيضًا ؟

جيلان :

— لا .. البطاقات الشخصية وجوازات السفر أختصّ بها أنا ، وسترى أن الصورة المثبتة بالبطاقة ستناسبك تمامًا حينما ينتهي صديقي .

ثم أردف في جدية :

— ستكون طريقك الوحيد للوصول إلى (جدوان)

يا صديقي .

استغرق صديق (جيلان) أربعين دقيقة في عمل بارع متواصل ، حتى تمكّن من تغيير ملامح (ممدوح) ، بحيث باتت

تشبه تمامًا ملاح الرجل في البطاقة المزيفة ، ولم يستطع
(ممدوح) إخفاء إعجابه ، حينما استبدل ثيابه ، وتطلع إلى
وجهه في المرآة ، ليجد أنه قد تحول إلى شخص آخر ، فبهاتين
العينين المرهقتين ، وذلك المنظار الطبي الأنيق ، والشارب ،
والشعر القصير ، بالإضافة إلى الحلة والمعطف الأنيقين ، غدا
صورة طبق الأصل من المحامي الذي يحمل بطاقته ..
وتطلع (جيلان) إلى ساعته ، قائلاً :

— ستستقل القطار الوحيد الذي يتطلق الليلة إلى مدينة
(أمينون) ، القرية من (جدوان) في الواحدة صباحاً ،
وعليك أن تلحق به الآن .

ممدوح :

— كنت أفضل الذهاب إلى (جدوان) رأساً .

جيلان :

— لا أنصحك بذلك ، فلا ريب أن محطة قطار
(جدوان) تكتظ الآن برجال الأمن والمخابرات ، الذين يبحثون
عنك ؛ لأنهم يعلمون أنها هدفك الرئيسي .

ممدوح :

— ولكن كيف أصل إلى (جدوان) بعد وصولي إلى
(أمينون) ؟

جيلان :

— فور هبوطك من القطار توجه إلى الفندق المجاور
للمحطة ، ويدعى فندق (الزهور) ، واحجز لنفسك حجرة
هناك ، ودع الباقي لنا .

وناوله مسدساً صغيراً ، وترخيص حمل أسلحة زائفاً ، يحمل
اسم المحامي ، وهو يقول :

— احتفظ بهذا ، فقد تحتاج إليه .

وضع (ممدوح) المسدس في جيب معطفه ، وهو يقول في
امتنان :

— لقد أسديتم لي خدمة عظيمة ، ومساعدة قيّمة .

ابتسم (جيلان) وهو يصفحه ، قائلاً :

— إننا لم نقدّم سوى القليل ، لرجل جاء مخاطرًا بنفسه
وروحه ؛ لإنقاذ زعيم وطني ندين له بالولاء . أرجو لك التوفيق
في مهمتك .

صافحه (ممدوح) في حرارة ، ثم غادر المنزل بصحبة
صديق (جيلان) ، الذي أقله بسيارته إلى محطة القطار ، وتابع
(جيلان) السيارة ببصره حتى اختفت في الأفق ، ثم غمغم في
حزن وأسف :

— وداعًا أيها الصديق ..

استرخى (ممدوح) في مقعده بالقطار ، وتظاهر بالانهماك في مطالعة صحيفة مسائية ، وهو يسأل نفسه عما ستحملة إليه هذه الرحلة من مخاطر ، ولم يكذب يتم تساؤله حتى وقف أمامه رجلان يرتديان معطفين سوداوين ، وقال أحدهما في هدوء لا يخلو من الصرامة :

— شرطة ؟ .. هل تسمح بإبراز بطاقتك الشخصية ؟

قدم له (ممدوح) بطاقته المزورة في ثقة وثبات ، دون أن تبدو على وجهه أية بادرة للارتباك ، ففحصها الرجلان في عناية ، ثم أعادها الأول إليه ، وهو يقول في آلية :

— رحلة موفقة .

تنفّس (ممدوح) الصعداء ، وتضاعف إعجابه ببراعة (جيلان) وصديقه ، وإن لم يمح هذا القلق من نفسه ، وهو يعلم أن كل أجهزة الأمن ، وعلى رأسها مخابرات (ماركو) ستواصل بحثها عنه بلا كلل ، وأن الخطر سيظل يُخدق به طوال الوقت ..

وسارت الرحلة رتيبة هادئة ، عدا تلك اللحظات التي

توقّف فيها القطار في المحطات الفرعية ، ونشط فيها رجال الأمن لمضايقة الركاب ، والتأكد من شخصياتهم ، ولكن كل شيء سار على مايرام ، حتى وصل القطار إلى محطته الأخيرة في (أمينون) ..

ونفّذ (ممدوح) ما طلبه منه (جيلان) بالضبط ، فتوجّه على الفور إلى فندق (الزهور) ، وحجز لنفسه حجرة ، وقبل أن يصعد إلى حجراته استوقفه رجل يقف إلى جوار موظف الاستقبال ، وسأله في شك :

— أنت محام ؟

أجابه (ممدوح) في برود :

— نعم .

تفرّس الرجل في ملامحه لحظة ، ثم عاد يسأله :

— وماذا يفعل محامي مثلك في بلدة صغيرة كهذه ؟

(ممدوح) :

— ليس هذا من شأنك ، ويمكنك أن تقول إنني قد جئت إلى هنا للاستجمام .

أبرز الرجل بطاقته وهو يقول في صرامة :

— هل تكفيك هذه لتعلم ما إذا كان السؤال من شأنى أم لا ؟

(ممدوح) :

— لست أفهم معنى ذلك ، هل تتهمنى بشيء ما ؟

أجابه الرجل :

— الكل متهمون في الوقت الحالي ، والكل موضع شك ،

ثم ألا ترى معنى أن لهجتك تبدو غريبة لمواطن من (لوتشيا) ؟ !

(ممدوح) :

— هذا لأنني قضيت فترة طويلة خارج البلاد ، ولم أعد إلى

هنا إلا منذ بضعة أشهر فحسب .

الرجل :

— سنتأكد من ذلك بلا شك ، والآن هل تسمح لرجالي

بتفتيشك ؟

كان السؤال روتينياً محضاً ، فبدون انتظار الجواب ، تقدم

ثلاثة من رجاله يفتشون (ممدوح) في خشونة ، وعثر أحدهم

على المسدس والترخيص المزيف ، فحملهما إلى رئيسه ، الذي

فحص المسدس بعين خبيرة ، وسأل (ممدوح) في خبث :

— هل اعتدت حمل سلاحك أيها المحامي ؟

(ممدوح) :

— نعم .. وهو سلاح مرخص كما يشب الترخيص الذي

تحمله .

أعاد الرجل المسدس إلى (ممدوح) في هدوء ، وهو يقول

في خبث :

— حسناً أيها المحامي .. يمكنك أن تصعد إلى حجرتك فهذا

كل شيء .

ولكن نظراته كانت تشي بالخبث والشراسة ..

وبرائحة الموت .



٦ — المطاردة ..

ألقى (مدوح) جسده على فراشه بكامل ثيابه ، وهو يشعر بإرهاق شديد ؛ بسبب هذه الرحلة الشاقة المقلقة ، ثم لم يلبث النوم أن داعب جفنيه ، وأحاط به في عمق لساعتين كاملتين ، ثم تبخّر في لحظة واحدة ، حينما تسلّلت إلى أذني (مدوح) صوت طرقات خافتة على باب حجرتة ، فقفز من فراشه ، وقبض على مسدّسه وهو يقترب من الباب ، قائلاً :

— من بالباب ؟

أتاه صوت من الخارج يقول في خفوت :
— جئت أستعيد الطرد الذي وصلك بطريق الخطأ .
أعاد (مدوح) مسدّسه إلى جيبه ، وهو يفتح الباب ، قائلاً :

— نعم .. وإعادته إلى مكانه الصحيح .
تسلّل صاحب الصوت إلى الحجرة في حذر ، وقال وهو يغلق الباب خلفه :

— أنا المكلف مساعدتك على الوصول إلى (جدوان) ، سأنتظرك بعد ساعة عند مدخل الفندق ، وتوخ الحذر ، واحتفظ بهذه الورقة على سبيل الاحتياط ، فهي ترشدك إلى أحد رجالنا ، وهو يستطيع معاونتك في مهمتك في حالة إخفاق ، أو وقوعي في أيديهم .

لم يكد الرجل يتم عبارته حتى انفتح باب الحجرة الجانبية فجأة ، وظهر على عتبة ذلك الشخص الذي أمر بتفتيش (مدوح) ، في ردهة الفندق ، وحوله عدد من الجنود المسلّحين ، يبتسم في ظفر ، قائلاً :

— هل تنويان مغادرة الفندق بهذه السرعة .

ثم التفت إلى (مدوح) ، قائلاً :

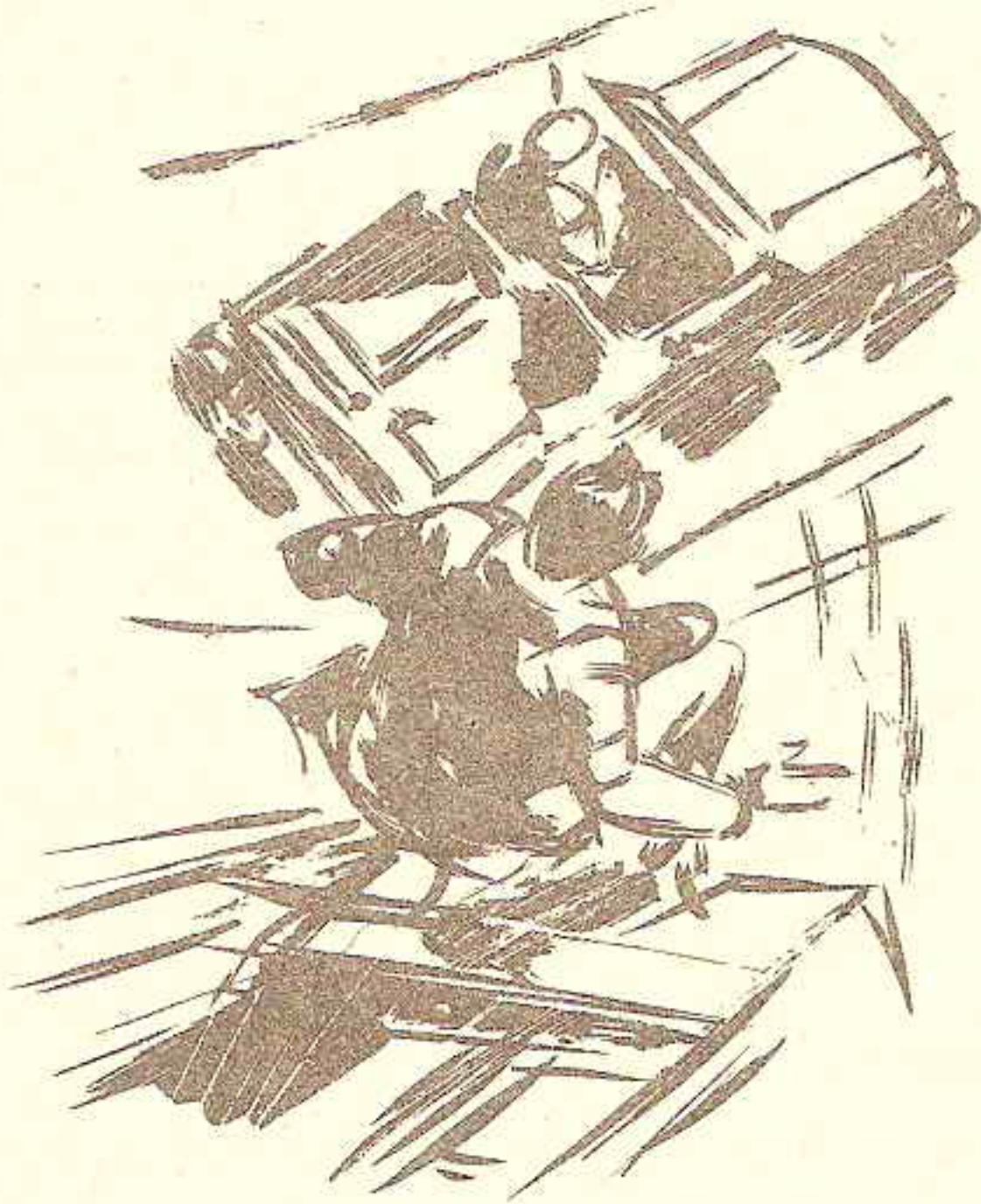
— لقد شككت فيك منذ البداية ، ولقد أثبتت تحرياتي أن كل أوراقك زائفة .

وأفسح الطريق لرجالنا ، وهو يقول في صرامة :

— اقبضوا عليهما .

تحرك رجال الأمن للقبض على (مدوح) ورفيقه ، إلا أن ذلك الرفيق صاح فجأة :

- أسرع بالهروب ، فأنا لا أنوى الاستسلام .
 وانتزع فجأة من أسفل عباءته مدفعاً رشاشاً قصيراً ، وأطلق
 رصاصاته نحو رجال الأمن ، وسقط بعضهم صرعى على الفور ،
 في حين تراجع الباقون في سرعة ليحتموا بالباب الجانبي ، وهم
 يرددون على رصاصات الرجل بالمثل ، وأخرج رئيسهم مسدسه
 في سرعة ، وأراد أن يطلقه على رأس رفيق (ممدوح) ، ولكن
 (ممدوح) عاجله برصاصة صرخته على الفور ، وتراجع نحو
 النافذة ، وهو يعاون رفيقه في إطلاق النار على جنود الأمن ،
 واختلس نظرة سريعة عبر النافذة ، فرأى سيارة من نوع الجيب
 تقف إلى جوار الفندق ، وقد جلس سائقها أمام عجلة القيادة ..
 وأطلق رفيق (ممدوح) صرخة ألم قوية ، واخترقت عشرات
 الرصاصات جسده ، وسقط صريعاً ، في نفس اللحظة التي
 قفز فيها (ممدوح) من النافذة ، وسط سيل من النيران ..
 وشلت المفاجأة سائق السيارة ، الذي فوجئ بـ (ممدوح)
 يسقط في مقعدها الخلفي ، وقبل أن يفيق من أثر المفاجأة
 أطاحت به لكمة (ممدوح) خارج السيارة ، وقفز الأخير إلى
 عجلة القيادة ، وأدار المحرك ، وانطلق بالسيارة تلاحقه
 رصاصات رجال الأمن ، واندفع بها في طريق أسفلى ، يطل



في نفس اللحظة التي قفز فيها (ممدوح)
 من النافذة ، وسط سيل من النيران ..

على منحدر جبلي ينتهي بأرض شديدة الوعورة ، وقاد السيارة بإحدى يديه . في حين أخرج بيده الأخرى تلك الورقة ، التي قدّمها له رفيقه قبل مصرعه ، محاولاً توزيع انتباهه بين الطريق الخفيف ، والرسم المدون في الورقة ، حتى يمكنه حفظ إرشاداته .. ولكن انتباهه تركّز فجأة على الطريق ، فمن بعيد لاحظ له نقطة تفتيش عسكرية تعترض الطريق ، وفي مرآة سيارته رأى عدة سيارات تطارده في إصرار ..

لقد وقع بين شقي الرحي ..

كان التقدّم يعنى الموت ، والتراجع يعنى الهلاك ، والتوقف هو الاستسلام ..

وكان (ممدوح) يرفض هذه الحلول الثلاثة ..

“ واختار الحل الرابع ..

وترك (ممدوح) سيارته تواصل انطلاقها نحو نقطة التفتيش ، وقفز منها ليتدحرج فوق المنحدر الجبلي ، ولوّح رجال نقطة التفتيش إلى السيارة ، يطلبون منها التوقف ، دون أن ينتبهوا إلى أنها تنطلق بلا سائق ، ثم حاولوا إطلاق النار عليها إلا أنهم كشفوا الحقيقة حينما حطمت السيارة الموانع الخشبية التي

تعترض الطريق ، ودارت حول نفسها في صرير قوى ، ثم انقلبت رأساً على عقب .

أما (ممدوح) فقد تجاهل ثيابه الممزقة ، ويديه المتسلختين ، والكدمات التي تملأ وجهه ويديه من أثر التدحرج على أرض منحدرية ، تمثلي بالحصي والصخور ، وعاد يفرد ورقة الإرشادات أمام عينيه ، ويدرس الطريق المرسوم فيها في عناية ..

كان الرسم يشير إلى وجود عدد من المزارع في نهاية الطريق الجبلي ، طليت أسوار أحدها بلون أزرق داكن ، ويملكها أحد رجال منظمة (النضال الحر) ، ويدعى (بندار) .. وكان على (ممدوح) أن يصل إليه ..

وانطلق (ممدوح) يجد السير في طريقه نحو مزرعة (بندار) ، على الرغم من آلامه الجسدية ، وهو يعلم أن رجال الأمن سيقتفون أثره في إصرار ، ولن تكون مهمة العثور عليه بالأمر العسير ، وسط هذه المنطقة الجبلية المكشوفة ..

وصحّ ما توقّعه في سرعة ، فقد رأى من بعيد مجموعة من الجنود تقترب من موقعه ، فأسرع يختبئ بين أطلال معبد جبلي قديم ، وحبس أنفاسه وهو يرهف سمعه لأصوات خطوات الجنود

وهم يقتربون من مكمنه ، وسمع رئيسهم يأمرهم بتفتيش
الأطلال ، فالتصق بالجدار الذى يختبئ خلفه ، وهو يستمع إلى
أقدام أحد الجنود ، الذى كاد يصل إليه ..

وفجأة قفز (ممدوح) من مكمنه ، وضرب الجندى فى رأسه
بمقبض مسدسه ، ثم اختطف الخنجر المعلق فى حزام الجندى ،
وأغمده فى قلبه ، قبل أن تسنح له الفرصة لإطلاق صيحة
تحذير لزملائه ..

وأسرع (ممدوح) يحل حزام الجندى من حول وسطه ،
وانتزع منه قبيلتين يدويتين ، أسرع يشبههما فى نطاقه ، ثم انطلق
إلى خارج الأطلال ..

وفجأة صرخ أحد الجنود :

— ها هو ذا .

ورأى (ممدوح) رءوس الجنود تلتفت إليه ، ورأى فوهات
مدافعهم الرشاشة ترتفع فى وجهه ، يطل منها الموت ..

لم يكن هناك وقت للتردد أو التفكير ؛ لذا فقد أسرع
(ممدوح) يلتقط إحدى القبيلتين ، وينتزع فتيلها بأسنانه ، ثم
يلقى بها وسط الجنود ، وتركها تمزق أجسادهم بانفجارها ،

وهو يواصل عدوه ، وعندما حاول الآخرون اعتراضه ، أو مطاردته
ألقي عليهم القبيلة الثانية وسط المعبد القديم ، لتنهار جدرانها وأعمدته
فوق رءوسهم ، ثم التقط مسدسه ، وأطلق رصاصاته على الجنديين
الباقين فأرداهما قتيلين ، وعاد يواصل عدوه مبتعداً عن المكان ..
عن منطقة الخطر ..

وواصل (ممدوح) مسيرته وسط الطريق الجبلى الوعر ،
حتى لاحت له أول المزارع من بعيد ، فأخذ يبحث الخطأ ، وينتقل
من واحدة إلى أخرى ، حتى وصل إلى مزرعة (بندار) ذات
الأسوار الزرقاء الداكنة ..

ودفع (ممدوح) باب المزرعة ، وأخذ يتحرك داخلها فى
حذر بحثاً عن (بندار) ، حتى قاده قدماه إلى أحد العنابر
المخصصة لتربية الدواجن ، وهنا سمع صوتاً يأتى من خلفه قائلاً :
— قف مكانك .. لا تتحرك خطوة واحدة وإلا أطلقت
عليك النار .

توقف (ممدوح) فى قلق ، واقترب منه صاحب الصوت
شاهراً بندقيته ، وهو يقول فى جدّة :

— ماذا أتى بك إلى هنا ؟

ممدوح :

— إننى أبحث عن السيّد (بندار) ، صاحب المزرعة .

ظلَّ الرجل شاهراً بندقيته ، وهو يقول في صرامة :

— وماذا تريد من السيّد (بندار) ؟

قاطعه اقتراب رجل طويل القامة ، عريض المنكبين ، قال في

هدوء :

— ماذا حدث يا (بروك) ؟ .. من هذا الرجل ؟

أجابه المسلّح دون أن يبعد عينيه عن (ممدوح) :

— يقول إنه يبحث عنك يا سيّدى .

التفت (ممدوح) إلى الرجل الطويل ، قائلاً :

— هل أنت السيّد (بندار) ؟

أجابه الرجل :

— هو أنا .

ممدوح :

— لقد جئت لاستعادة الطرد الذى وصل بطريق الخطأ .

تفرّس الرجل في وجه (ممدوح) لحظة ، ثم ابتسم وهو

يلتفت إلى المسلّح ، قائلاً :

— اخفض سلاحك يا (بروك) .. إنه واحد منا .

ثم تأبّط ذراع (ممدوح) ، وهو يستطرد في وُدّ :

— مرحباً بك يا صديقى .. لقد وصلت إلى غايتك .

٧ — سيارة الدمار ..

قاد (بندار) (ممدوح) إلى قبر سرّى أسفل المزرعة ، وهو يقول :

— لن يعثر عليك أحد من رجال (ماركو) هنا أبداً ، كما أنهم لن يتطرق إليهم الشك ويقدمون على تفتيش مزرعتى ، فمعتقل (جدوان) نفسه يحصل على بعض احتياجاته من اللحوم والخضراوات من مزرعتى .. والآن أخبرنى ، كيف يمكننى أن أساعدك ؟

ممدوح :

— أتعرف موقع زنزانة الجنرال (أسكار) داخل المعتقل ؟

بندار :

— لا يمكننى أن أحدّد ذلك على وجه الدقة ، ولكن لدينا هنا خريطة تفصيلية لمعتقل (جدوان) ، سرقها أحد رجالنا من بعض ضباط المعتقل .

وأعقب القول العمل ، فشر على المائدة الممتدة أمامهما خريطة كبيرة ، قال وهو يشير إليها :

— للمعتقل أربعة أبواب رئيسية ، أهمها الباب الشرقى ،
الذى تنشط عنده حركة المركبات والسيارات إلى داخل وخارج
المكان ، وهذه هي مواقع الزنانات ، وهذه غرف التعذيب
الشرطى ، وهذه المطابخ ، ولكن هناك ما يجعلنى أعتقد أن
الجنرال (أسكار) مسجون هنا ، فى هذه الزنانة المنعزلة ،
حيث إنها مخصصة للمعتقلين ذوى الأهمية السياسية الكبرى .
ممدوح :

— هناك سيارات مخصصة لنقل اللحوم والخضراوات إلى
المعتقل .. أليس كذلك ؟
بندار :

— بلى .. إنها سيارات المعتقل الخاصة ، وهى تأتى كل ثلاثة
أيام ، فى العاشرة صباحاً ، وتقوم بنقل اللحوم والخضراوات من
المزارع المتعاقدة مع إدارة المعتقل ، ومنها مزرعتى ، بالإضافة إلى
مزرعة المعتقل الخاصة .. وغداً موعدها .
ممدوح :

— حسناً .. سنستولى على هذه السيارة فى أثناء عودتها
بالشحنة ، وسوف تؤدي لنا خدمة عظيمة .
بندار :

— كيف ؟

ممدوح :

— سأشرح لك كل شيء .. المهم ألدبك عدد كاف من
الرجال ؟

بندار :

— العشرات .. وهم على أتم استعداد للقيام بأى عمل
يسند إليهم .

ابتسم (ممدوح) ، وهو يقول فى ارتياح :

— حسناً .. غداً سنقتحم معتقل (جدوان) يا صديقى .

بينما انهمك رجال الأمن والخابرات فى البحث عن
(ممدوح) ، الذى يختبئ فى قبر مزرعة (بندار) السرى ،
بلا جدوى ، بدأت سيارة المعتقل رحلتها لجمع كميات البيض
والدجاج واللحوم والخضراوات ، لنقلها إلى معتقل
(جدوان) ..

وأتمت سيارة المعتقل مهمتها دون متاعب ، وبدأت رحلة
العودة إلى المعتقل ، وفى أثناء اجتيازها منطقة أدغال ضيقة فوجئ
سائقها بعدد من جذوع الأشجار يعترض طريق السيارة ،

فتوقف عن السير مضطراً ، وأمر الضابط الجالس إلى جواره جنوده بمغادرة السيارة ، وإزاحة جذوع الأشجار عن الطريق ، حتى تواصل السيارة سيرها ، ولم يكد الجنود يتحركون لتنفيذ الأمر ، حتى برز فجأة عدد من الأشخاص الملتصين من خلف الأشجار المتشابكة ، وصوبوا إلى الجنود وضابطهم والسائق بنادقهم الآلية ، ومدافعهم الرشاشة ، وأمر أحدهم الجميع بالاستسلام ، وحذّره من مغبة أية محاولة للمقاومة ..

واستسلم الجنود ، وألقوا أسلحتهم على الفور ، إلا أن ضابطهم الذي يجلس في كابينة القيادة انتزع مسدّسه ، وهو يقول للسائق في صرامة :

— تحرك إلى الخلف .. هيا .. بسرعة .

وقبل أن ينفذ السائق أوامر ضابطه ، قفز أحد الملتصين إلى كابينة القيادة ، وصوب مسدّسه إلى السائق ، وهو يقول :

— لا تطع الأمر هذه المرة يا رجل ، إذا ما أردت أن تكون هناك مرة أخرى .

قفز الضابط من كابينة القيادة ، وأطلق رصاصة من مسدّسه نحو أحد الملتصين ، ولكن الآخرين أطلقوا مدافعهم الرشاشة نحوه بلا تردد ، فأردوه قتيلاً على الفور ، ونزع أحد

المسلحين لثامه ، ليظهر وجه (بندار) ، وهو يسأل أحد رجاله ، بعد أن انهمك الآخرون في تقييد السائق والجنود :

— هل أحضرت المتفجرات ؟

أجابه الرجل :

— نعم .

تنهّد (بندار) وهو يقول :

— حسناً .. سنتقل الآن إلى المرحلة الثانية من الخطة ، وسنرى كم تبلغ قوة جدران معتقل (جدوان) .

انتهى الكولونيل (ماركو) من فحص إجراءات تشديد الحراسة على معتقل (جدوان) ، وحول زناينة الجنرال (أسكار) بالذات ، ثم قال لقائد المعتقل في صرامة :

— ينبغي أن تعلم أن الجنرال (كاميرو) يولي اهتماماً بالغاً لهذا السجين بالذات ، وهو شديد الغضب ؛ لأنكم عجزتم عن استخلاص أية معلومات منه ، عن رجال المقاومة السريّة لمنظمة (النضال الحر) حتى الآن .

قائد المعتقل :

— لقد استخدمنا معه كل وسائل التعذيب لدينا يا سيدي ، ولقد رأيت بنفسك اليوم كيف يصرّ على عناده ، وهو يرفض

تُزويدنا بأية معلومات ، على الرغم من أنه يكاد يلفظ أنفاسه
مع بعض أساليب التعذيب .

ماركو :

— المهم الآن أن تتشددوا في حراسته ، حتى نعثر على ذلك
الشیطان المصرى الهارب ، فأنا أتوقع منه الكثير من المتاعب ،
ولو أنه نجح في المهمة التى أسندها إليه رؤساؤه ، فسنفقد صدى
نجاحنا في عملية اختطاف (أسكار) من مصر ، خاصة أننا لم
نحصل منه على أية معلومات بعد ، وأنا أشعر أن ذلك الضابط
المصرى لم يعد بعيدا عن هنا ..
وكان شعوره صادقا ..

ففى هذه اللحظة بالذات كان (ممدوح) أقرب إلى المعتقل
مما يتصور (ماركو) ، فقد كان يوقف سيارة صغيرة من نوع
الـ (فولكس فاغن) ، على بعد عدة أمتار من سور المعتقل ،
وبالتحديد أمام أحد أبوابه الخلفية ، حيث كانت فى مواجهته
نقطة تفتيش بها أربعة جنود ، بالإضافة إلى برج المراقبة ، الذى
يحمل جنديا واحدا ، ومدفع (مورتر) سريع الطلقات ..
وهبط (ممدوح) من السيارة الصغيرة ، وتظاهر بفحصها فى
اهتمام ، مما أثار قلق أحد جنود الحراسة ، فتقدم إليه قائلاً فى صرامة :



وهبط (ممدوح) من السيارة الصغيرة ، وتظاهر
بفحصها فى اهتمام ، مما أثار قلق أحد جنود الحراسة ..

— ألا تعلم أن الوقوف بالقرب من المعتقل ممنوع ؟ ..
انصرف وإلا أطلقنا عليك النار .

ممدوح :

— لقد تعطلت سيارتي ، ووقفت هنا اضطراري .

جندى الحراسة :

— وما وجهتك ؟

ممدوح :

— مدينة (سيتال) .

جندى الحراسة :

— كان ينبغي أن تتخذ الطريق الغربى .. أين بطاقتك

ورخصة قيادة السيارة ؟

وشعر (ممدوح) بالعرق البارد يتصبب على جبينه ، وانحنى
متظاهراً بالبحث عن الأوراق المزعومة ، وهو يتساءل في أعماق
نفسه :

— ترى ما مقدار الألم الذى تسببه رصاصة فى الرأس ؟

فى هذه الأثناء ، وعلى بعد ستين متراً من الباب الخلفى ،
وعند البوابة الرئيسية للمعتقل ، حيث تقف قوة حراسة كاملة ،

وينتصب عدد من أبراج المراقبة ، ظهرت سيارة الشحن قادمة
من بعيد ، فأشار إليها أحد الجنود ، قائلاً لزميله :

— إنها سيارة التموين الخاصة بالمعتقل ، لقد تأخرت عن
موعدتها اليوم .

وأشار إلى زملائه لرفع الموانع المعدنية من أمام البوابة ،
ليسمح بدخول السيارة ، فى حين قال زميله متعجباً :

— ما الذى يفعله هذا السائق المجنون ؟ .. لقد قفز من
السيارة فى أثناء سيرها .

صاح الجندى الأول فى ذعر ودهشة :

— ماذا ؟ .. إذن فالسيارة الآن بلا سائق و

ولم يكمل عبارته ، فقد قفز جانباً لابتعد عن طريق السيارة ،
التي داست زميله تحت عجلاتها ، واندفعت كالعاصفة الهوجاء
داخل المعتقل ، الذى سادته الهرج والمرج ، والجميع يتدافعون
للابتعاد عن الإطارات القاتلة ..

ومن بعيد وقف المثلثون يراقبون الموقف ، حتى تأكدوا من
دخول السيارة إلى المعتقل ، وهنا رفع أحدهم يده إلى أعلى ،
وهو يقول فى حزم :
— الآن .

وبسرعة ضغط أحدهم جهاز التفجير ، الذى يتصل بسلك طويل يمتد إلى السيارة ، فسرت الإشارة إلى شحنة ضخمة من المتفجرات ، وانفجرت السيارة انفجاراً هائلاً ، أطاح بعدد من المباني والجدران ، ومزق أجساد العشرات من جنود الأمن .. وتحولت أبصار الجميع ، حتى حراس الباب الخلفى ، نحو الانفجار ، ومنح ذلك الفرصة لـ (ممدوح) ، فالتقط مسدسه من (تابلوه) السيارة فى سرعة ، وأطلق النار على الجندى الذى يطالبه بإثبات شخصيته ، دون أن ينتبه رفاقه ، عندما أخذ صوت الانفجار المدوى صوت الرصاصة المكتوم ..

وحينما انتبهوا كان (ممدوح) قد التقط مدفع الجندى الرشاش ، واندفع نحوهم ، وهو يمطرهم برصاصاته .. وسقط الجنود صرعى رصاصات (ممدوح) ، وحاول جندى برج المراقبة أن يصل إلى مدفعه (المورتور) السريع الطلقات ، إلا أن رصاصات (ممدوح) أصابته فى مقتل ، فهوت جثته من فوق البرج .

واندفع (ممدوح) داخل معتقل (جدوان) الرهيب .. لقد نجح فى دخوله ، وسيكون عليه أن يسعى للخروج منه حياً ..

٨ - الهروب الانتحارى ..

كان للمفاجأة أثرها الفعال فى ذلك الهجوم الانتحارى المفاجئ ، فقد اندفع (ممدوح) داخل المعتقل ، يشق طريقه برصاصات مدفعه الرشاش ، وأسقط ثمانية من الجنود فى هجمته الأولى ، فى حين لم يصب هو إلا بجخدش صغير فى ذراعه اليسرى ..

كان أشبه بفدائى يعرف هدفه جيداً ، وتمتلى نفسه بالإصرار على تحقيقه ، مهما اعترضه من عقبات ..

وكان هدفه هو الوصول إلى زنزانة (أسكار) المنعزلة ، التى حفظ الطريق إليها عن ظهر قلب فى مزرعة (بندار) ..

ولم يجد (ممدوح) مقاومة شديدة ، وهو يشق طريقه إلى هدفه ، فقد سادت المعتقل فوضى هائلة بعد الانفجار الرهيب ، الذى حطم المباني والجدران ، وأتاح للمعتقلين الفرار من زنزاناتهم ، والاشتباك مع من تبقى من الجنود ، الذين يقاتلون لمنعهم من الفرار ..

ونجح (ممدوح) وسط تلك الفوضى في الوصول إلى الزنزانة المنعزلة ، واشتبك في قتال سريع مع خارسينها ، ولكنه أرداهما برصاصات مدفعه الرشاش في سرعة ، ثم صاح بأعلى صوته :

— جنرال (أسكار) .. هل أنت في الداخل ؟

أجابه صوت ضعيف من داخل الزنزانة يقول :

— نعم .. أنا هنا .

ممدوح :

— ابتعد عن باب الزنزانة إذن بقدر الإمكان ، فسوف

أنسفه بعد لحظات :

تم ثبت قبلة إلكترونية صغيرة على رتاج الباب الفولاذي ، وابتعد في سرعة إلى ركن بعيد ، وضغط زر جهاز صغير في يده ، فانفجرت القبلة ، وانفتح الباب ، ومن بين الأتربة المتأثرة عن الانفجار ، رأى (ممدوح) الجنرال (أسكار) خارجاً ، وهو يبعد الأتربة عن وجهه بكفيه ، فأسرع إليه ، وهو يشير إلى الخارسين القتيلين ، قائلاً :

— هيا ياسيدي .. سنرتدى ثياب الخارسين بأسرع

ما يمكننا ، فنحن في سباق مع الزمن .

نظر إليه (أسكار) في دهشة ، وقال :

— من أنت ؟

ممدوح :

— لا وقت للشرح ، كل ما يمكنني قوله هو أننى هنا لمساعدتك على الفرار من هذا الجحيم ، فدعنا لنضيع الوقت .

أسرع (أسكار) ينفذ تعليمات (ممدوح) ، وهو يقول :

— لقد قلت ما يكفي يا ولدي .. ما يكفي تماماً .

سعل (ماركو) الذى نجا من الانفجار ، وهو يصرخ في هستيرية :

— كل ذلك من تدبير العميل المصرى .. هذا الانفجار من ترتيبه حتماً .

لم يستمع قائد المعتقل إلى كلمات (ماركو) ، وهو منهمك في إصدار تعليماته إلى ضباطه وجنوده ؛ لمنع المساجين من الفرار ، بعد أن تهدمت زنزاناتهم ، ولكن (ماركو) صرخ فيه في غضب :

— عليك اللعنة .. دعك من هؤلاء المساجين الحمقى ، وأرسل كل ما لديك من جنود إلى الزنزانة التى أودعت فيها (أسكار) ، فهذا هو هدف ذلك الشيطان الحقيقى أيها الغبي .

ارتعدت فرائص قائد المعتقل ، ونقل تعليمات (ماركو) إلى ضباطه في ارتباك شديد ، ليقودوا ما تبقى من الجنود إلى زنزانه (أسكار) ..

أما (ممدوح) و (أسكار) فقد أسرعوا نحو الباب الخلفي ، بعد أن تنكروا في زي جنود المعتقل ، ولكنهما وجداه مغلقا ، ومحاطا بعدد من جنود الحراسة ، فأسرعا يبهشان عن مخرج آخر ، ولكن المخرج كلها كانت تغص بجنود الحراسة ، وازداد الموقف حربا حينما رأى (ممدوح) فريقا من الجنود يقترب منهما ، فقال (أسكار) :

— لن تكفى هذه الثياب لحمايتنا طويلا ، فإذا ما اقترب منا هؤلاء الجنود ، فسيكون من السهل عليهم كشف أمرنا .
أسكار :

— وماذا نفعل ؟

التفت (ممدوح) إلى دبابة رابضة على أرض فناء المعتقل ، فعاد يسأل (أسكار) في اهتمام :

— جنرال (أسكار) .. لقد كنت قائدا ل سلاح المدرعات قبيل الانقلاب الذي شاركت فيه (كاميرو) .. أليس كذلك ؟
أسكار :

— بلى ..

ممدوح :

— إذن فأنت تعلم كيف تقود دبابة ؟

أسكار :

— بالطبع .

ممدوح :

— هيا بنا إذن .. ستقود هذه الدبابة إلى الخارج .

أسكار :

— ولكن ..

ممدوح :

— لا وقت للتردد .

اندفع الاثنان ليعتليا متن الدبابة ، ثم فتحا غطاءها ، وقفزا

داخلها ، وقال (ممدوح) :

— والآن انطلق نحو جدار المعتقل ، وسوف أكفل لك

حماية كافية ضد الهجمات الخلفية .

وانطلقت الدبابة ، وحاول الضابط والجنود اعتراضها ،

أو محاصرتها ، ولكن الوحش الحديدي تابع سيره في قوة ،

والرصاصات ترتد عن درعه القوي ، في حين قاد الجنرال

(أسكار) الدبابة في براعة ، وأطلق من ماسورتها الضخمة قنبلة

دكت الجدار وحطمته ، وأصدر أحد الضباط أمراً لجنوده
 باعتلاء الدبابة ، وتدمير طاقمها الصغير بالقنابل اليدوية ،
 ولكن (ممدوح) فتح غطاء الدبابة ، واتخذ منه درعاً يتقى به
 الرصاصات ، ويطلق من خلفه رصاصات مدفعه الرشاش ، يمنع
 الجنود من الاقتراب ، وقنابلهم اليدوية تنفجر حول الدبابة دون
 أن توقف مسيرتها ، وهي تتجاوز جدار المعتقل ، الذي دكته دكاً .
 وانقلب المعتقل رأساً على عقب ، وأخذ (ماركو) ، الذي
 يتابع ما يحدث من النافذة ، يطلق صرخات هستيرية ، ويلقى
 أوامر متضاربة تعكس اضطرابه وانهياره النفسي الواضح .
 ومن بعيد رأى المثلثون (ممدوح) وهو يرفع أصابعه بعلامة
 النصر ، من فوق الدبابة ، فانطلقوا يهتفون ويهللون في سعادة ،
 وهم يرفعون أسلحتهم عالياً ، وهتف بهم (بندار) :
 — والآن لنبدأ الخطوة الأخيرة .
 تصاعدت صيحات الرجال ، وقفزوا داخل عدد من
 سيارات (الجيب) ، وانطلقوا نحو المعتقل ، وهم يطلقون
 مدافعهم الرشاشة نحو جنوده ..
 وفي تلك اللحظة ظهرت هليوكوبتر تقترب في سرعة ، وتدلى منها
 سلم من الحبال لمس سطح الدبابة ، ورفع قائدها يده بعلامة النصر .

٩ — المنطقة المربعة ..

عاون (ممدوح) (أسكار) على صعود سلم هليوكوبتر ،
 وتبعه في مهارة ، حتى استقرّاً داخل الطائرة ، وهتف الطيار في
 سعادة :

— مرحباً بك أيها الزعيم .. حمداً لله على نجاتك .
 أسكار :

— تهنئة سابقة لأوانها أيها المناضل ، فلم نتجاوز دائرة
 الخطر بعد .. من أين حصلت على هذه هليوكوبتر ؟
 الطيار :

— إنها ملك للسيد (نورد) ، أحد كبار رجال الصناعة في
 (لوتشيا) .

ابتسم (أسكار) ، قائلاً :

— وأحد كبار أعضاء منظمة (النضال الحر) .
 والتفت إلى (ممدوح) قائلاً :

— هل ترى يا صديقي كيف يتضاعف عدد الثوار في كل

مكان في (لوتشيا) ، وعلى مختلف المستويات ؟ لقد باتت الثورة وشيكة .

سأل (ممدوح) الطيار :

— إلى أين نذهب ؟

الطيار :

— إلى مخبأ سرى في إحدى المغارات الجبلية ، تم إعداده ليؤويكما بضعة أيام ، حتى تهدأ الأمور ، ونجد وسيلة لتحريركما إلى الخارج .

لم يكد الطيار يتم عبارته حتى ارتجت الهليكوبتر بقوة ، وهتف الطيار في جزع :

— يا إلهي !!.. لقد أصابوا الطائرة .. سنلقى حتفنا جميعاً .

واصلت الهليكوبتر انطلاقها بعد الإصابة ، إلا أن مؤشر الوقود أخذ يشير إلى تناقصه في سرعة ، وبدأ المحرك يصدر أصواتاً عجيبة ، فسأل (ممدوح) الطيار :

— ماذا يحدث ؟

— يبدو أن خزان الوقود قد أصيب ، وسنفقد كل وقودنا بعد لحظات .

ممدوح :

— ألا توجد مظلات هبوط في الطائرة ؟

— كلا ، مع الأسف .

نظر (ممدوح) إلى أسفل ، ورأى سلسلة من الجبال والمرتفعات الصخرية ، التي تعوق هبوط الهليكوبتر ، وقال (أسكار) في قلق :

— ماذا يمكننا أن نفعل ؟

الطيار :

— ليس أمامنا إلا أن أحاول دفع الهليكوبتر ، لنصل إلى منطقة المستنقعات ، فالأرض هناك طينية ، ولن تتحطم الطائرة في أثناء الهبوط على الأقل .

ممدوح :

— المهم أن يسمح لنا ما تبقى من الوقود بذلك .

انطلق الطيار يقود الهليكوبتر في براعة ، ومؤشر الوقود يقترب من الصفر في سرعة مخيفة ، حتى هتف (أسكار) :

— ها هي ذى منطقة المستنقعات .. إنها منطقة رهيبة ، لم يقربها أحد منذ زمن طويل ، لقد كانت ضمن خطة الإصلاح في بداية الثورة ، حيث كنا ننوى ردمها ، وإقامة مشروع سياحي كبير فوقها ، ولكن (كاميرو) استولى على أموالها لنفسه .

ممدوح :

— سيكون ذلك لصالحنا ، فهذه المنطقة التي يخشاها البشر
ستمنع (ماركو) وجنوده من البحث عنا ، أو العثور علينا .
أشار مؤشر الوقود في تلك اللحظة إلى الصفر ، وبدأت
الهليكوبتر تهبط في سرعة وسط المستنقعات الموحلة ، والأشجار
الكثيفة المتشابكة ، وقفز منها (ممدوح) و (أسكار) والطيار
قبل أن ترتطم بسطح المستنقع .

وغاص (ممدوح) عميقاً في المياه الآسنة الموحلة ، ثم جاهد
ليصعد إلى السطح ، ولم يكده يستنشق الهواء العطن فوق
السطح ، حتى دار بصره يبحث عن الطيار والجنرال
(أسكار) ، ولما لم يعثر لهما على أثر عاد يغوص في المستنقع بحثاً
عنهما ، حتى وصل إلى الهليكوبتر التي استقرت في قرار
المستنقع ، واتسعت عيناه في ذعر ، فقد كانت قدم الجنرال قد
انحشرت أسفل الهليكوبتر ، والطيار يحاول إنقاذه في يأس ..
لقد نجح الجنرال (أسكار) في الفرار من معتقل
(جدوان) ، ليلقى حتفه في مستنقعاتها الرهيبة .. التي لم
تطأها قدم بشر بعد ..

شق (ممدوح) مياه المستنقع الموحلة بذراعيه في قوة ، وهو
يغوص نحو الهليكوبتر ، وتعاون مع الطيار في محاولة لإنقاذ
الجنرال ، وتبين لهما في أثناء المحاولة أن طرف سرواله ، المعلق في
باب الطائرة المغلق ، هو الذي يعوق تحرّكه ، وهنا التقط
(ممدوح) الخنجر الذي يثبتته حول ساقه ، وقطع الجزء المعلق
من السروال ، وترك الطيار يصعد بالجنرال إلى السطح ، في
حين التقط هو بعض الأغذية المحفوظة من داخل الهليكوبتر ،
ولحق بهما ..

وبرزت وجوه الثلاثة فوق السطح الموحد ، والتقطوا
أنفاسهم في عمق ولهفة ، ثم أخذوا يسبحون في صعوبة ، حتى
وصلوا إلى منطقة صلبة ، فصعد إليها (ممدوح) ، وأخذ
يعاون (أسكار) ، الذي خارت قواه بسرعة .. بعد كل
ما تعرض له من عذاب داخل المعتقل الرهيب ، ولم يكده يشعر
بجسده فوق الأرض الصلبة حتى ألقي بنفسه في إرهاب ، وأخذ
يلهث ، في حين بقي الطيار وسط المستنقع حتى اطمأن إلى نجاة
زعيمه ، ثم بدأ يصعد إلى الأرض الصلبة ..

وفجأة برز جسم عجيب من خلف الطيار ، وعاد يغوص في
سرعة ، قبل أن ينتبه إليه هذا الأخير ، الذي لم يكده يتشبّث

بالأرض حتى اتسعت عيناه في ذعر ، وأطلق صرخة رعب
عالية ، وهو يهتف :

— النجدة .. إنه سيلتهمنى .

ثم غاص في المستنقع فجأة ، وكأنما اجتذبه شيء ما ..
قفز (ممدوح) من مكانه في دهشة ، واستلّ خنجره ،
وقفز في المستنقع خلف الطيّر ، ولم يكديرى ما يحدث ، حتى
تصارعت في أعماقه الدهشة والرغبة معاً ، فقد كان الطيّر
يصارع في رعب للتخلص من أسنان قاتلة ..
أسنان (ديناصور) ..

لم يكن ذلك الذى رآه (ممدوح) (ديناصوراً) حقيقةً ،
من ذلك النوع الذى انقرض قبل الميلاد بملايين الأعوام ، وإنما
كان حيواناً عجيباً ، له وجه (ديناصور) ، وجسم سحلية ،
وكان يطبق بأسنانه على قدم الطيّر ، الذى شلّه الخوف .
ولم يتردد (ممدوح) ، وتعلق بظهر الحيوان العجيب ،
وأحاط عنقه بذراعه اليسرى ، وأخذ يطعنه بخنجره في قوة
طعنات متتالية ، حتى اندفعت الدماء غزيرة من جسده ،
وتراخت أسنانه حول ساق الطيّر ، ثم أخذ يتقافز ويتقلب فوق
سطح الماء ، مصدراً صوتاً يشبه نقيق الضفادع ..

وتراجع (أسكار) في رعب وذهول ، وهو يشاهد
ما يحدث ، وبدا له الحيوان الذى يتقلب كشيطان بشع ، فى
حين لم يظهر أدنى أثر لـ (ممدوح) أو الطيّر ..

وأخيراً ، وعندما تهدت حركة الحيوان الصريع ، ظهر
(ممدوح) على السطح ، وهو يحمل معه الطيّر ، الذى فقد
الوعى ، فتفسّ (أسكار) الصعداء ، وأسرع يعساون
(ممدوح) على نقل جسد الطيّر إلى السطح ، وهو يقول فى
هفة :

— لا بدّ من تضميد جراحه ، لقد أصابته أسنان (الورل)
بجراح عميقة .

ممدوح :

— (الورل) ؟ .. ما هذا الحيوان العجيب ؟

أسكار :

— إنه نوع من السحالي المتوحشة ، التى تستوطن هذه
المستنقعات ، وتنشر فيها الرعب ، ويقول العلماء إنها تنتمى
لفصيلة (الديناصورات) المنقرضة منذ ملايين السنين .
ممدوح :

— لقد لاحظت أن وجهها شديد الشبه بالـ (ديناصور) .

أسكار :

— إن ذلك الطيَّار الشاب محظوظ ؛ لأنه وجد شخصاً
شجاعاً مثلك ينقذه من بين أنياب (الورل) ، فوحشية هذا
الحيوان وشرافته تعادل عشرة قماسيح .

صمت (ممدوح) لحظة ، ثم قال :

— لست أدري ما إذا كان محظوظاً أم تعساً يا سيّدى ،
فلقد نجا من أسنان (الورل) ، والله (سبحانه وتعالى) وحده
يعلم أى مصير ينتظره وينظرنا ، فربّما كانت هذه المستقعات
مقبرتنا جميعاً .



١٠ — السحالى المتوحّشة ..

استعاد الطيَّار وعيه ، وتطلَّع إلى (ممدوح) فى امتنان ،
وهو يقول :

— لست أدري كيف أشكرك يا صديقى ، فلقد أنقذتنى
من موت محقق ..

ممدوح :

— المهم الآن أن تكون قادراً على السير ، حتى نسرع
بمغادرة هذه المنطقة المرعبة ، فمهما كان الأمر ، فلن نستطيع أن
نظل طويلاً فى ذلك المكان ، الذى يزخر بتلك السحالى
المتوحّشة ، وغيرها من الزواحف والحشرات .

الطيَّار :

— أعتقد أننى أستطيع السير الآن .

أسكار :

— يمكنك أن تستند إلى كتفى .

وسار الثلاثة وسط المستقعات ، وهم يخترقون الأدغال
الكثيفة ، ويخوضون فى أرض موحلة تارة ، ويابسّة تارة أخرى ،

ويضطربهم الأمر أحياناً إلى عبور بعض المناطق العميقة سباحة ،
حتى أدركهم التعب ، فجلسوا يلتقطون أنفاسهم في بقعة تمتلئ
بالحشائش القصيرة ، وقد بدأ الليل يسدل أستاره على منطقة
المستقعات ، قال (أسكار) وهو ينظر حوله في قلق :
— إن ذلك المكان يصبح أكثر خطورة في الليل ، خاصة
وأن (الورل) يزداد شراهة في الظلام .

الطيّار :

— إننى أقترح أن نشعل نارا ، فهذه السحالى تخشى
النيران .

ممدوح :

— ومن أين لنا النار ؟

الطيّار :

— لقد كنت أحد الكشّافة في صباى ، وأعرف كيف
أصنع شراراً من حكّ الأغصان الجافة بعضها ببعض .
أسكار :

— فلنجمع إذن أكبر قدر من الأغصان الجافة .

تناهى إلى مسامعهم صوت السحالى الشبيه بنقيق
الضفادع ، فأردف :

— وأقترح أن نسرع بذلك .

جمع الثلاثة كل ما توصّلت إليه أيديهم من الأغصان الجافة ،
وانهمك الطيّر الشاب في إشعالها حتى نجح في ذلك ، حينئذ
بدأت السحالى تقترب منهم ، فوقف الثلاثة يلوحون بالأغصان
المشتعلة في وجوه السحالى ، حتى هتف (ممدوح) فجأة :
— أنصتوا .

أرهف الثلاثة أسماعهم في انتباه ، ثم قال الطيّر :

— إنه صوت طائرات هليكوبتر تقترب .
ممدوح :

— يبدو أنهم لم يطرحوا من أذهانهم تماماً فكرة وجودنا في
المستقعات .

أسكار :

— من الأفضل أن نختبئ بالأشجار الكثيفة ، لنحجبنا عن
أنظارهم .
ممدوح :

— هيا قبل أن يلمحونا .

انطلق الثلاثة نحو بقعة تمتلئ بالأشجار ، وهم يلوحون
بالأغصان المشتعلة في وجوه السحالى ، التى حاولت مطاردتهم ،
والتي لم تكن تساوى شيئاً أمام أنياب الذئب

الذئب المعروف باسم (ماركو) ..

حامت أربع طائرات هليكوبتر حول منطقة المستنقعات ،
وهي تضيء كشأفاتها القوية فوق المستنقع والأشجار المحيطة
به ، بحثًا عن الهاربين ، وفي إحداها جلس (ماركو) يتطلع إلى
المنطقة من خلال منظاره المقرَّب ، ثم أشار إلى منطقة ما ، وهو
يقول لمساعدته (تونار) :

— هل ترى هذه النيران المشتعلة ؟

تطلع (تونار) من خلال منظاره المقرَّب ، وقال :

— نعم .. إن هذا يؤكد وجود آدميين بالمنطقة .

ماركو :

— كنت أتوقع ذلك .. أصدر الأوامر لتبسط طائرتين

بالقرب من تلك البقعة ، وينتشر منهما الجنود بحثًا عن مصدر

النيران ، أما الطائرة الثالثة فلتساعدنا في مسح المنطقة من

ارتفاع منخفض .

أصدر (تونار) الأوامر بواسطة اللاسلكي ، وهبطت

طائرتان فوق الأرض اليابسة ، خلف موقع (ممدوح) ورفيقه ،

وانطلق منهما نحو سبعة عشر جنديًا ، انتشروا في المكان وهم

يحملون الأسلحة ، والكشأفات الضوئية ، وتناهي صوت
تحركهم إلى مسامع (ممدوح) ، فأشار إلى رفاقه أن يطفئوا
أغصانهم المشتعلة ، حتى لا تكشف عن موقعهم ، ولأذ الثلاثة
بالصمت التام ..

وفجأة أطلق أحد الجنود صرخة مدوية ، والتفت إليه زملاؤه
ليشاهدوا إحدى السحالي المتوحشة وهي تطبق على ذراعه
بأسنانها الحادة ، وتجذبه إلى الأرض ، فأطلقوا عليها النار ،
وأردوها قتيلة على الفور ، وأثارت رائحة الدماء عشرات
السحالي ، فانقضت على الجنود من كل الاتجاهات .

وعلى الرغم من صعوبة الموقف ابتسم (ممدوح) ، وقال
للجنرال مداعبًا :

— يبدو أن سحالي (الورل) تؤيدك يا سيدي الجنرال ،

فها هي ذى تشارك منذ الآن في الثورة القادمة .

لم يكذ يتم عبارته حتى بدت حركة مفاجئة من خلفه ،

فاستدار في سرعة ليرى واحدة من السحالي المتوحشة ، وقد

فتحت فكها عن آخرهما ، استعدادًا للانقضاض عليه ، فاستل

خنجره في سرعة ، وقذفه نحوها ، وأطلقت السحلية صرختها

الشبيهة بنقيق الضفادع ، حينما استقر الخنجر حتى مقبضه في

عنقها ، وانقلبت على ظهرها ، وظلّت تتلوى لحظة ، ثم خمدت
حركتها تمامًا ، فانتزع (ممدوح) خنجره من عنقها ، في حين
مازحه الجنرال (أسكار) ، قائلاً :

— هأنذا ترى تلك السحالي الثائرة غير مأمونة الجانب ،
فمن الممكن أن تنقلب علينا في أية لحظة .

ابتسم (ممدوح) ، ثم قال في جدية :

— لا عليك من (الورل) يا سيدي ، إن علينا الآن أن
نستعد لخطوة انتحارية جديدة ، وإلا كان علينا أن نلحق بهذه
السحلية في عالم الموتى .



١١ — نهاية الكولونيل ..

أشار (ممدوح) لرفيقه ، يدعوهما لالتزام الصمت ، وتحرك
في خفة بين الأشجار ، حتى لمح جنديين يقتربان من مكمنه ،
وفي لمح البصر انقضّ (ممدوح) على أحدهما من الخلف ، وكنم
صيحته بكفه في قوة ، وأغمد خنجره في ظهره ، في حين انقضّ
الطيار على الآخر ، وعاجله بضربة قوية مستخدماً صخرة كبيرة
هشمت رأس الرجل ، وأسرع (ممدوح) ورفيقاه يستولون على
أسلحة الجنديين ، وقال (ممدوح) :

— سنبذل أقصى جهدنا للوصول إلى إحدى طائرتي
الهليكوبتر ، فهي وسيلتنا الوحيدة للفرار من هنا .

الطيار :

— ولكن الجنود يحيطون بالمنطقة كلها .

ممدوح :

— إنهم منهمكون في صراعهم مع السحالي المتوحشة ،
وحيثما يتفرغون لنا نكون قد وصلنا إلى إحدى الطائرتين .

أسكار :

— ولكننا سنتعرض في هذه الحالة لمدفعي الطائرتين ، اللتين
تحلّقان فوق المنطقة .

ممدوح :

— لست أنكر أن الأمر ينطوى على مخاطرة شديدة ، ولكن
ليس أمامنا خيار ..

أسكار :

— حسنًا .. سنقوم بذلك معًا .

ممدوح :

— هيّا بنا .

انطلق الثلاثة فوق الأرض الموحلة ، في طريقهم إلى طائرتي
الهليوكوبتر ، في الجهة المقابلة للأدغال الكثيفة ، ولخهم
(ماركو) من طائرته وهم يركضون ، فابتسم ابتسامة ظافرة ،
وهو يقول لمساعدته :

— ها هي ذى الفئران قد غادرت جحورها .. استعدوا ..

سنطلق عليهم النار .

حلقت طائرتا الهليوكوبتر فوق (ممدوح) ورفيقيه ،
وأطلقت نيرانها عليهم في شراسة ، وأصاب أحد رصاصاتهم
كتف الجنرال (أسكار) ، إلا أنه تحامل على نفسه ، على
الرغم من دمائه التي جعلت تنزف في غزارة ، وتابع ركضه نحو
الطائرتين ، في حين أخذ (ممدوح) والطيار يطلقان النار على
حارسي الطائرتين ، وتبادل معهما الحارسان إطلاق النيران في
إصرار ، فألقوا بأنفسهم وسط منطقة عشية كثيفة ، وعاون
الطيار (أسكار) على الاختباء وسط الحشائش ، في حين أخذ
(ممدوح) يزحف بين الحشائش كالثعبان ، في انتظار تخليق
إحدى الطائرتين نحوه ، ولم تكد الطائرة تحلق على ارتفاع
منخفض ، استعدادًا لإطلاق مدافعها نحوه ، حتى برز
(ممدوح) من بين الحشائش فجأة ، وجثا على ركبتيه وهو يطلق
رصاصات مدفعه الرشاش نحو الطائرة ، فصرع قائدها وركابها
الثلاثة ، فتهافت الهليوكوبتر ، وارتطمت بالأرض ، وانفجرت
في دوى شديد ..

وصرخ (ماركو) في الطائرة الأخرى :

— اللعنة !! لقد دمر هذا الشيطان الطائرة .

قال (تونار) وهو يستحث قائد الهليوكوبتر على الهبوط على
ارتفاع منخفض :

— اطمئن يا كولونيل ، لن يفلتوا من يدي ، فأنا قنّاص ماهر ، وأعرف كيف أحصد الفئران أمثالهم .
وهبطت الطائرة إلى أطراف الأعشاب تقريباً ، وأسند (تونار) بندقيته التلسكوبية إلى كتفه ، ودار بعينه بحثاً عن الهارين الثلاثة ، حتى حدّد موقعهم ، فسدّد بندقيته إلى الهدف في إحكام ، وأطلق النار ..

مرّت لحظة من الصمت ، تخلى فيها (تونار) عن منظاره المقرّب ، وتطلّع (ماركو) خلاله في لهفة ، ثم هتف في ظفر :
— لقد أصبتهم يا (تونار) .. لقد أصبتهم .

أطلق (تونار) صيحة فرح ، وحاول أن ينطق بكلمة ما ، إلا أن (ماركو) عاد يهتف في غضب :
— يا للشيطان ! .. إنها ثيابهم فحسب .. لقد تركوها بين الأعشاب لتضليلنا .. لقد خدعونا .

وقبل أن تعاود الهليوكوبتر ارتفاعها ، برز (ممدوح) فجأة من بين الأعشاب الكثيفة ، وأمطرها من الخلف بوابل من النيران ، وأصيب (تونار) في رأسه وجسده ، وسقط جسده من الهليوكوبتر ، وسط الأعشاب الكثيفة ، وصرخ قائد الهليوكوبتر في ذعر :

— لقد أصابوا المحرّك .. ستفجر الطائرة .

تعلّق (ماركو) بسُلّم من الحبال في ذعر ، وأخذ يتخبّط بمنّة ويسرة في قوة ، والطائرة تهوى نحو الأرض ، ثم قفز قفزة هائلة ، وهبط قرابة الأربعين متراً ، قبل أن يغوص في أحد المستنقعات ..

وحاول (ماركو) أن يسبح ، وأن ينجو بنفسه ، إلا أنه شعر بأنياب حادة تطبق على ساقه ، وتجذبه في قوة إلى أعماق المستنقع ، فصرخ في رعب ، وحاول أن يقاوم في فرع ، إلا أن (الورل) الضخم اجتذبه إلى قرار المستنقع ، ليضع نهاية لهذا السفّاح الشرس ، الذي أراق دماء المئات ، وزجّ بالآلاف في المعتقلات والسجون ..

كانت نهاية (ماركو) في المكان الذي يناسبه ..
في قرار المستنقع ..



١٢ — الهروب الأخير ..

وصل (مدوح) ورفيقاه إلى إحدى طائرتي الهليكوبتر ،
واندفع نحوهم ثلاثة من الجنود ، يحملون مدافعهم الرشاشة ،
فقال (مدوح) للطيار :

— عاون الجنرال على الصعود إلى الهليكوبتر ، واستعد
للإقلاع بها ، وسأتولى أنا حمايتكما .

وأطلق رصاصة محكمة أصابت أحد الجنود ، في حين
احتسب الآخران خلف الهليكوبتر الأخرى ، وأخذا يتبادلان
إطلاق النيران معه ، ونجح الطيار في إدارة محرك الطائرة ،
ودارت مراوحها استعداداً للإقلاع ، وصاح الجنرال
(أسكار) :

— هيا يا (مدوح) .. أسرع .

حاول الجنديان منع (مدوح) من الصعود إلى الهليكوبتر ،
ولكنه حسم أمرهما حينما أطلق رصاصاته نحو خزان الوقود في
الهليكوبتر الأخرى ، فانفجرت ، وتناثرت مع شظاياها أشلاء

الجنديين ، وقفز (مدوح) إلى الهليكوبتر ، التي ارتفعت في
سرعة وابتعدت بأقصى سرعتها ، وهتف الجنرال (أسكار) غير
مصدق :

— يا إلهي !!.. لقد نجونا .. لقد نجونا ..

هبطت الهليكوبتر بعد رحلة طويلة في منطقة جبلية نائية ،
وقاد الطيار (مدوح) والجنرال (أسكار) إلى الخبأ السري
لرجال المقاومة ، داخل مغارة جبلية عميقة ، وهناك استقبل
الثوار زعيمهم بهتاف ظافر ، وأسرعوا يضمّدون جراحه ، وهم
يهنئونه على نجاته من معتقل (جدوان) ..

وبعد ثلاثة أيام وصل (جيلان) ، وصديقه الخبير
بأساليب التكر ، حيث تم تبديل ملامح (مدوح) و (أسكار)
في مهارة ، وسلمهما (جيلان) جوازي سفر زائفين ، قائلاً :
— لن أخفى عليكما أن الأمر بالغ الخطورة ، فكل أجهزة
الأمن في (لوتشيا) مجتدة للبحث عنكما ، والتكر وجوازا
السفر المزيفان تضمن خمسين في المائة فقط من النجاح .

نظر (مدوح) إلى (أسكار) ، قائلاً :

— أعتقد أن الجنرال يوافقني على أن الأمر يستحق المجازفة .

تطلع إليه (أسكار) في امتنان ، وهو يقول :

— مهما كانت نتائج هذه المجازفة فأنا أقبلها ، ولكنى أود
أن أشكرك من كل قلبي على ما بذلته من جهد وعرق من أجل ،
وما تحمّلت من مخاطر في سبيل إنقاذي ، لقد أديت عملاً
خارقاً ، ولن تنسى (لوتشيا) الحرة صنيعةك أبداً .

توقفت سيارة صغيرة أمام مطار (هوران) ، عاصمة
(لوتشيا) ، وقال قائد السيارة للجنرال (أسكار) ، قبل أن
يغادرها مع (ممدوح) :

— لقد حجزنا لكما مقعدين في الطائرة المتجهة إلى (أثينا)
بدلاً من (باريس) ، إمعاناً في تضليل رجال الأمن والمخابرات ،
فهم يعلمون أن (باريس) هي المقر الرئيسى لجبهة المعارضة ،
وسيراقبكما بعض رجالنا في المطار ، حتى يطمئنوا إلى دخولكما
الطائرة .

ثم التفت إلى (أسكار) ، وقال في احترام :

— وداعاً أيها الزعيم ، سننتظر عودتك في القريب العاجل .
أسكار :

— أقرب مما تتصور أيها المناضل .. أقرب مما تتصور .

وانتجه (ممدوح) و (أسكار) إلى المطار ، واتجها إلى
الطائرة ، حينما هتف صوت صارم فجأة :

— انتظر .

التفت (ممدوح) نحو صاحب الصوت في قلق ، وهو
يحاول الاحتفاظ بهدوء أعصابه ، فوجد أحد الركاب يشير إلى
حقيبتة ، قائلاً :

— حقيبتك نصف مفتوحة .

تنهّد (ممدوح) وهو يقول :

— شكراً لك يا سيدى .

وأسرع يغلق حقيبتة ، ثم التفت إلى (أسكار) ، وتنفس
الاثنان الصعداء .

سأل (ممدوح) الجنرال (أسكار) ، والطائرة تنطلق بهما
إلى (أثينا) :

— هل ستعود معى إلى مصر ؟

أسكار :

— لا يا صديقى ، سأكمل رحلتى إلى (باريس) ، حيث
أجتمع بأعضاء اللجنة العليا للتنظيم ، لتنفق على خطة العمل

المقبلة ، ثم أعود بوسيلة ما إلى (لوتشيا) ، حيث أقود رجال المقاومة ، لنبدأ الثورة على نظام (كاميرو) الدكتاتورى المستبد ، ولقد كشفت لى الأحداث الأخيرة عن أمور هامة ، وهى أن مكانى الحقيقى هناك ، بين صفوف الثوار ، وليس كلاجئ سياسى ، ولا حتى زعم سياسى يقود المقاومة من آلاف الأميال .. لقد آن الأوان لأشعر أنسى أودى عملاً حقيقياً لبلادى ، من داخل وطنى .

ممدوح :

— كما تحب يا جنرال ، وتذكر دائماً أن مصر تفتح ذراعيها لك فى أية لحظة .

ابتسم (أسكار) ، قائلاً :

— أريد منك أن تنقل شكرى وامتنانى إلى الحكومة المصرية ، على كل ما فعلته من أجلى ، سواء فى أرضها ، أو بعد اعتقالى ، وسأظل أبد الدهر مدينًا لك ، ولمصر ، وطنى الثانى .

بعد ثلاثة أيام من وصوله إلى باريس ، أدلى الجنرال (أسكار) بحديث صحفى طويل ، شرح فيه عملية اختطافه فى القاهرة ، ونقله إلى معتقل (جدوان) ، حيث لاقى أهوالاً

من العذاب ، وأشاد بالجهود التى بذلتها أجهزة الأمن المصرية ، وعلى رأسها إدارة العمليات الخاصة لإنقاذه ، ومساعدته على الهرب ، وأفاض فى شرح الدور الرائع الذى قام به (ممدوح) ، دون أن يذكر اسمه ، طبقاً للاتفاق السابق بينهما ، وفى الطائرة التى أقلت (ممدوح) إلى (أسوان) ليقضى بها إجازة قصيرة بعد نجاحه فى مهمته ، أخذ الراكب المجاور له يطالع الصحف فى اهتمام ، ثم ارتسمت على وجهه أمارات الإعجاب ، وهو يلتفت إلى (ممدوح) ، قائلاً :

— هل قرأت الخبر المكتوب عن بطولة الضابط المصرى ، ومغامرته الشجاعة فى (لوتشيا) ؟

ممدوح :

— نعم .

عاد الرجل يتصفح الجريدة ، قائلاً :

— إن المرء ليشعر بالفخر ، حينما يعلم أن لدينا رجالاً شجعاناً من هذا الطراز .

ممدوح :

— أعتقد أنهم كثيرون .

سأله الرجل فى فضول :

— ألا تتمنى في قرارة نفسك أن تصبح مثله ؟

اصطنع (ممدوح) الدهشة ، قائلاً :

— أنا ؟! .. لا .. إننى رجل مسالم ، لا أميل للمخاطرة

والعنف .

وافقه الرجل بهزة من رأسه ، وقال :

— لقد خمنت ذلك من الوهلة الأولى ، فمظهرك الهادئ

يؤكد أنك لست من ذلك الطراز من الرجال .. و ..

ابتسم (ممدوح) ، وأغلق عينيه فى استرخاء ، وترك الرجل

يسترسل فى حديثه الطويل .

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦٢٠

المؤلف



أ. شريف شوق

● اختطاف الجنرال ●

وفي اللحظة التي انتبهوا فيها لما حدث ،
كان (ممدوح) قد التقط المدفع الآلى ،
الذى سقط من الجندى ، واندفع نحو الباب
الخلفى من المعتقل ، وهو يمطر الجنود الذين
سَلَّتهم المفاجأة بوابل من النيران .

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات
بوليسية للشباب
من الخيال العلمى

مثلث الرعب

العدد القادم



الثمن فى

مصر

١٠

١٠

١٠

١٠

١٠

١٠

١٠

١٠

١٠

١٠